

دُولُ الْعَرَبِ وَعُظَمَاءُ الْإِسْلَامِ

المحتويات

٩	مقدمة
١١	لغةُ العرب
١٥	التاريخ
١٩	الوطن
٢٣	البيتُ الحرام
٢٧	السيرة النبوية الشريفة
٣٥	الخلفاء الراشدون
٣٧	خلافة أبي بكر الصديق
٤١	خلافة عمر بن الخطاب
٤٥	عمرُ وخالد بن الوليد
٤٩	مقتل عمر
٥١	خلافة عثمان بن عفان
٥٥	الخصمان
٥٧	أمير المؤمنين علي بن أبي طالب
٦٣	معاوية
٦٥	عمرُ بن العاص
٧١	خالد بن الوليد
٧٥	دولة بني أمية
٧٩	صقر قريش (عبد الرحمن الداخل)
٨٧	خلافة عبد الله بن الزبير

دَوْلُ الْعَرَبِ وَعُظْمَاءُ الْإِسْلَامِ

- ٩١ موت إبراهيم الإمام والبيعة لأخيه السفاح وخلافته
- ٩٣ أبو مسلم الخراساني الداعي للعباسيين
- ٩٥ الدولة العباسية
- ٩٧ أبو جعفر المنصور
- ١٠١ دولة الفاطميين

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه دُرَّةٌ في تاج الأدب، وُعْرَةٌ في جبين القريض، نظَّم أمير الشُّعر عَقْدَهَا، وصاغ معناها ولفظها، وهو يُعاني ألم النفي، ويتجرَّع عُصص النوى، إبَّان الحرب العالمية الكبرى، بين رُبوع الأندلس، التي عمَّر الإسلام فيها ثمَّ دَرَسَ، ونما وترعرع وأزهر، ثم ذَوَى وأقْفَرَ. وليس ثَمَّةَ مواقع أشحَدَ للذهن وأنَّصَى للخيال، من مثل تلك المواقع والمشاهد، التي أوحت إلى شوقي بك، رحمة الله عليه، أن ينظم هذه الأرجوزة الخالدة، في «دول العرب، وعظماء الإسلام»، فلا غرَوَ إذا جاءت في بابها آية، وأوفت في بلاغتها على الغاية. وكانت جدُّ حقيقة أن تتجلَّى بمظهرها الرائع، في سَفَرٍ مستقلٍّ. وأن تحظى من العناية بضبطها، وإتقان طبعتها وتصحيحها، بما يكفل الإقبال عليها والانتفاع بها، إن شاء الله تعالى.

محمود خاطر

٥ مارس سنة ١٩٣٣

مقدمة

ذي العرش والسَّبْعِ العُلا الطَّباق
الدائم الجلال والإكبار
ومُهلك الحيِّ ومُحيي مَنْ هَلَكَ
مشتتملاً على البيان الأحسن
من كلِّ غرَاء تُضيء اللُّوحا
مَوائِلَ الحسن كأمثال الصُّورِ
على أَجَلٍ رُسُلِ السلام
ورفعتْ هَمَّتُهُ ذَكَرَ العَرَبِ
وعرشه السابح في أسمائه
وزَقَّها لمحسني أصحابه
الرافعين بَعده ما مَهَّدا
المنقذين من قيود الرِقِّ
ومن تلا الوُسْطى من اللّآلي
زواجر الجودِ، أُسودِ الباس
الأرفعين حسَبًا ومظهِرا
لا تأخِذِ الأمور بالتوهُم

الحمْدُ لله القديمِ الباقي
المَلِكِ المنفردِ الجَبَّارِ
وارثِ كلِّ مالِكٍ وما مَلَكَ
منزِلِ الذِّكْرِ بخير الألسنِ
أوحى إلى رسوله ما أوحى
وقصَّ أنباء القرون في السُّورِ
وأفضلُ الصلاة والسلام
من بلغتْ أُمَّته به الأربُ
صَلَّى عليه الله في سمائه
وجعل الجنةَ من رحابه
خلائفِ الحقِّ أئمة الهدى
الفاتحين بالقنا للحقِّ
وجعل الخُلْدَ نظامَ الآلِ
بني عليٍّ وبني العباس
الأكرمين نسبًا مُطَهَّرًا
وبعدُ، فاسمِعْ يا بُنَيَّ وافهم

لَمَّا رَمَى اللَّهُ بِهِذِي الْحَرْبِ
لِحِكْمَةٍ يَعْلَمُهَا تَعَالَى
يُبْرِزُهَا غَدًا مِنَ الْخِبَاءِ
تَحْرَكَتْ سِوَاكُنُ الْأَقْدَارِ
وَحَكَمَ اللَّهُ بِهَجْرَةِ الْوَطَنِ
فَكُنْتُ أَسْتَعِدِّي عَلَى الْهَمُومِ
أَسْتَدْفِعُ الْفِرَاعَ وَالْعَطَالَةَ
حَتَّى أَرَادَ اللَّهُ أَنْ نَظْمَتْ
عِلْمًا بِمَا تَبَعْتُ فِي الْأَحْدَاثِ
إِنَّ الصَّبِيَّ مَا تُغْذِيهِ اغْتَذَى
وَاخْتَرْتُ بَحْرًا وَسَعًا مِنَ الرَّجْزِ
يَرُونَ رَأْيًا وَأَرَى خِلَافَهُ
وَقِيَمَةَ اللُّؤْلُؤِ فِي النُّحُورِ
شَعْرٌ لَزِمْتُ فِيهِ مَا لَا يَلْزَمُ
وَالْحُسْنَ مَا لَمْ يَكُ فِي الْكَلَامِ
جَارِيَةٌ بِالصَّلْدِ النَّمِيرِ الْجَارِي
دَعَا التَّحَدِّيَّ خَاطِرِي فَلَبَّيْ
وَمَا أَيْسَتْ مِنْ كَرِيمٍ يُغْضِي
وَرَبَّمَا صُغْتُ مِنَ الْأَمْثَالِ
لِيَجِدَ النَّاشِئُ فِي الْجَدِيدِ
فَإِنْ تَجَدَّ عَيْبًا فَكُنْ عَيْنَ الرِّضَى

عَلَى بَنِي الشَّرْقِ وَأَهْلِ الْغَرْبِ^١
يَمَلَأُ مِنْ أَسْرَارِهَا الْأَفْعَالَ
إِنَّ غَدًا يَأْتِيكَ بِالْأَنْبَاءِ
وَاطَّرَدَتْ عَوَامِلُ الْأَكْدَارِ
وَطَالَمَا ابْتَلَى بِهَا أَهْلَ الْفِطَنِ
بِنَاتِ فِكْرٍ لَيْسَ بِالْمَلْمُومِ
وَبَطْلٌ مَنْ يَقْتُلُ الْبَطَالَةَ
مَنْ سِيرَ الرِّجَالَ مَا اسْتَعْظَمْتُ
جَلَائِلُ الْأَعْمَالِ وَالْأَحْدَاثِ
فَاكْثُرَ عَلَيْهِ فِي الْمَثَالِ الْمُحْتَدَى
قَدْ زَعَمُوهُ مَرْكَبًا لِمَنْ عَجَزَ
الْكَأْسُ لَا تُقَوِّمُ السُّلَافَةَ
بِنَفْسِهِ وَلَيْسَ بِالنُّحُورِ
وَتَرْكُهُ أَلْيَقُ بِي وَأَحْزَمُ
عَرَضَكَ التَّحْسِينَ لِلْمَلَامِ
قَدْ يَخْرُجُ الْعَذْبُ مِنَ الْأَحْجَارِ
يَحْذُو مِثَالَ السَّلْفِ الْأَلْبَا
وَلَا أَمَنْتُ حَاسِدًا ذَا بُغْضِ
مَا جَاوَزَ الْجُرْأَةَ مِنْ أَمْثَالِي
مَنْ لَذَّةٌ مَا لَيْسَ فِي التَّرْدِيدِ
أَوْ مَرًّا مَرَّ الْكِرْمَاءِ مُعْرِضًا

لغةُ العرب

مميِّزُ الإنسان باللسانِ
ولا عدا في الأرض سائِمُ النَّعَمِ
وهيكلُ الحكمة والأديانِ
ومُسْتَقَى اللِّهَاءِ^١ واليراعِ
ومُصْحَفُ المعلوم والمأثورِ
على العصور وعلى الاجناسِ
وكان كالجنس لهم قواما
كعُرْوَةِ المِلَّةِ أو حبلِ الوطنِ
لم يبلغِ الأقوامُ فيه مبلغه
رَفَّتْ نعيمًا وجرت نضاره
وأترعت قرائح الأحياءِ

تبارك الرحمنُ ذو الإحسانِ
لولاَه لم ينهضُ بسائر النَّعَمِ
فهو أداةُ العلم والبيانِ
ومفجِرُ الفكر والاختراعِ
وصَدَفُ المنظوم والمنثورِ
ومُسْكَةُ العُمرانِ بين الناسِ
رُبَّ لسانِ جمعِ الأقواما
واستمسكتُ واعتصمتُ به الفِطْنُ
وربَّ شعبٍ نال مجداً باللُّغَه
كانت له في ظلِّها حضارُه
سالت على الأجيال من ضياءِ

* * *

أودعه الله اللسانَ البادي
فيما يُقيِّمُ القومُ من أسواقِ

وكلُّ حُسنِ كامنٍ أو بادِ
هذبُه العَرَضُ على الأذواقِ

على عُكَاظًا^٢ تتبارى الْجِنَّةُ
ويخطبُ الْكُفَّانُ فِي الْمَوَاسِمِ
فتأخذُ الْقَبَائِلُ الْبَيَانَ
مُهْدَبًا مُنَقَّحًا مُنَقَّى
فِي شِرْعَةِ الْقَوْلِ هُوَ النَّمِيرُ^٣
من لفظِ إِسْمَاعِيلَ فِيهِ حُسْنُ
به تحلَّى وبه تباهى

وفوق ذي^٢ المجاز والمجنَّةُ
سَجَّحَ الْحَمَامُ فِي الرُّبَا الْنَوَاسِمِ
أَخَذَكَ مِنْ مَعِينِهِ الْعَقِيَانَا
مُلَقَّنَا مِنْ نَفْسِهِ مُلَقَّى
وهو على عيونه الْأَمِيرُ^٣
تعشقتَه فِي الرِّسُولِ اللُّسُنُ
وبزَّ فِي الْفَصَاحَةِ الْأَشْبَاهَا

* * *

ولم يزلُ تاجَهُمُ الْكَلَامُ
مُجَمَّلِينَ بِاللِّسَانِ الْأَبْيَنِ
حتى حباه اللهُ بِالْجَزِيلِ
شريعةً فَجَّرَهَا بِحِرَانِ
طامٍ من الْوَجِيِّ فَرَأَتْ الْمَشْرِعِ
فاضا على الصَّيْدِ مُلُوكِ الْبَيْدِ
فأوردا الْقَرَائِحَ الْقَرَاخَا
فلا تسلُّ عن نهضةِ الْعُقُولِ
وما أطالَ الدِّينَ من بُنْيَانِ
ظَلَّتْ تُعِينُ الْمُصْلِحِينَ الضَّادُ
حتى اسْتَقَلَّتْ دَوْلَةَ الرَّشِيدِ
تُعِيرُهَا فَارِسُ وَالْيُونَانُ
وكلُّ وَرِدٍ رَائِعٍ غَرِيبِ
ما أَخَذَتْ غَيْرَ صَفِيِّ الرُّوْحِ

والأمرءُ الصَّاغَةُ الْأَعْلَامُ
بمثله يُونَانُ لم تَزَيَّنِ
واختاره للوحي والتنزِيلِ
بالعلم والحكمة يزخْرانِ
في زاخرٍ من الْحَدِيثِ مُتَرَعِ
بَنَى زُهَيْرٍ وَبَنَى لَبِيدِ
بل وَجِدُوا مَاءً فَكَانَا الرَّاحَا
وكثرةِ الْمَعْقُولِ وَالْمُنْقُولِ
للعلم فِي الدُّنْيَا وَلِلْبَيَانِ
وظلَّ لِلْعِلْمِ بِهَا اعْتِضَادُ
ونَهَضَتْ بِرُكْنِهَا الْمَشِيدِ
كما تَهَادَى الزَّهْرَ الْجِنَانُ
فِي أَرْضِ جُورٍ لَيْسَ بِالْغَرِيبِ
كَاللِّطْفِ مِنْ رُوحِ سَرَى لِرُوحِ

^٢ متسوقٌ للعرب بصحراء بين نخلة والطائف، كانت تقوم هلال ذي القعدة وتستمر عشرين يوماً، وقيل شهراً، تجتمع فيها قبائل العرب فيتناشدون ويتفاخرون ويتبايعون.

^٣ سوقان للعرب من طراز عكاظ.

^٤ الماء الصافي.

لم يُفسدِ القومُ عليه الهيكلًا
أرحبَ منها في اللُّغى ذراعًا
واحدةً المَغْرِبِ والميلادِ
وكم على الأرض لها من دارٍ
كالراح دارت في إناءٍ مختلفٍ
والمتنبِّي قائد الضرير^٥
وفي رُبا الغرب الخفاجي صدح^٦
وكلُّ ظلٍّ موضعُ الإنشادِ

ترى الدخيل بالأصيل أشكلا
ما وسع العلمَ والاختراعًا
توطَّنتُ مُختلِفَ البلادِ
كالشمس، بنتُ الفلكِ المُدارِ
الأرضَ شتَّى والبيانَ مؤتلفٍ
اغترفَ الوليد من جريرِ
وحتَّ في الشرقِ النواصيِّ القدحِ
في كلِّ غنَّاءٍ هزازٍ شادِ

* * *

على أساسٍ ثابتٍ مَبْنِيًّا
جَرَّتْ عليها للجَمالِ مَسْحُهُ
بين مَعينِ اللفظِ والمعانِ^٨
ولُغَةُ الصَّبِوةِ والعتابِ
وَعُضُّ على صحيحه وَحَرُّهُ
وِحِصَّةُ الأعمى من الشُّعاعِ
فإنها مَعالِمُ الكلامِ
ابنِ غِدِّ واليومِ وابنِ أميسِ
وما نَفَتِ صيارفُ الأجيالِ
يَفْتِكُ وضعُ الشيءِ في محلِّه
وربَّ كَنزٍ لم يُثْره الأولُ
ومَذهَبُ الأفكارِ لا يُحدُّ

هذا لسانُ القومِ يا بُنيًّا
أوديةٌ تُنْضِي^٧ الخيالَ فُسْحُهُ
تنزلُها أوانسُ المعاني
لسانك الأولُ في الكتابِ
فخُضَّ عُبابَ فقهه وسرِّه
لا تَرُضْ منه مَبْلَغُ الرُّعاعِ
واقراً علومَ السَّلَفِ الأعلامِ
رُبَّ قديمٍ كَشُّعاعِ الشمسِ
وخلٌّ ما زَيَّفَتِ الليالي
ولا تَضَعُ من الجديدِ كلُّه
رَبِّ جَدِيدٍ عنده المَعوَّلُ
إن طريقَ العقلِ لا يُسَدُّ

^٥ إشارة إلى أبي العلاء.

^٦ ابن خفاجة الأندلسي.

^٧ تسيله.

^٨ المعان: المباءة والمنزل.

^٩ ما رفض النقاد من الأجيال.

بين الجديدِ والجديدِ مَيِّلٍ
لا تَخْلِطِ الْأَعْجَامَ بِالْأَعْرَابِ
وَكُلُّ مَا لَمْ يُرْمَ عَنْ قَوْسِ الْعَرَبِ
فَاجِرٍ عَلَى مَحَاسِنِ اللِّسَانِ
وَامِشِ بِأَدَابِ الْكِتَابِ تَهْتَدِ
هُمَا هَمَا الْقَالِبُ فِيهِ يُفْرَعُ
لا تَتَّبِعْ طَرِيقَةَ الشُّمَيْلِ^{١٠}
تَحِجَلُ — وَقَاكَ اللَّهُ — كَالْغُرَابِ!
فَلَيْسَ فِي نَبْعِ لَهُمْ وَلَا عَرَبِ^{١١}
تُجَلُّ فِي مَوْطِنِ الْإِحْسَانِ
وَقِفْ بِأَبْوَابِ الْحَدِيثِ وَاجْتَدِ
وَمَعْدِنِ الْحَسَنِ الَّذِي لَا يَفْرَعُ

^{١٠} كاتب مفكر وطيب كبير كان يعيش في الجيل الغابر، وكان له مذهب في التجديد يبالغ فيه.

^{١١} شجر يقال له سهم غرب كما يقال سهم نبع، وهو شجر أيضًا تُتخذ منه السهام.

التاريخ

مَنْ سَخَّرَ الصَّخْرَ الْأَصَمَّ لِلْقَلَمِ
يُضِيءُ أَثْنَاءَ الصِّفَا وَطَوْرَا
لِكُلِّ شَيْءٍ عُنُصْرٌ وَمَنْجَتْ
كَمْ دُمِيَّةٌ مِمَّا جَلَا مُخَلَّقُهُ
قَدِيمَةٌ تُعَرِّفُ الْحَدِيثَا
قَدْ نَشَأَ التَّارِيخُ فِي جَجْرِ الْحَجَرِ
أَلَيْسَ فِي الصَّخْرِ وَفِي الْأَدِيمِ
وَيَا سَقَى بَرْدِيٍّ^٢ مَصْرٍ سَاقٍ
وَلَا يِزَلُ رَهِينَةَ الْخَزَائِنِ
يُفْدَى وَإِنْ جَفَّ بَلِيْنُ السَّرْقِ
سَاقٍ إِلَيْنَا الثَّمَرَ الْعُجَابَا
لَا كَالرِّيَاحِيْنَ وَلَا الْبِقَوْلِ
حَتَّى جَرَى نَوْرًا عَلَيْهِ فِي الظُّلْمِ؟
يَنْجِدُ كَهْفًا بِالسَّنَى وَغَوْرَا^١
وَمَا أَبُو الْأَقْلَامِ إِلَّا الْمِنْحَتْ^٢
مُغْنِيَّةٌ مَا أَغْنَتْ الْمُعَلَّقَهُ
حَادِثَةٌ فِي الدَّهْرِ أَوْ حَدِيثَا
وَشَبَّ مَا بَيْنَ الْكُهُوفِ وَالْحَجَرِ
جُلُّ حَدِيثِ الْعَالَمِ الْقَدِيمِ؟
يُمْرَعُهُ مِنْ عَذَبٍ لِسَاقٍ
مِنْ كَرَمِ ضَنْبِنَةِ الْمَدَائِنِ
مَا آيَةُ الْخَزْرِ كَايَةِ الْوَرَقِ
وَأَنْجَبَتْ أَوْرَاقُهُ إِنْجَابَا
لَكِنْ تَبَنَّى ثَمَرَ الْعَقُولِ

^١ الصفا الحجر، وكل هذا إشارة إلى النقوش والكتابات في الكهوف والأحجار.

^٢ المنحت: المعدن، من منحت الحجارة وهو موضع نحتها والمراد النقوش على الحجارة والآثار.

^٣ البردي نبات كالقصب كان قدماء المصريين يستخدمون قشره للكتابة.

^٤ الحرير.

* * *

<p>على تنائي العهد والتقادم بنصه في كُتُبِهِ الْمُنزَلَهُ وفي الحواميم ° عَلَتْ فصولُهُ وأقدم الأعلام والمعالم؟ وظنَّ أن نال البقاء الزائلُ والذكرُ فوق الأرض مُستديماً في العلم والبنيان والمولودِ وتزعمُ الوجدان بعد فَوْتِ فكان في الذكر لهم مجالُ أودعه مُصرِّفُ الآيات لا تكُ والشاةُ على حدِّ سَوا بالخُلْدِ واحتالت له الأفهامُ تعشَّقُ الذِّكْرَ فغالى في الهوى على الملوك قبله استثنَّارا وانتَحَلَ المُرَقَّعَ المَهْدَمَا وما لِمَا شَيَّدَ من شبيهِ</p>	<p>سبحانه قصَّ حديثَ آدم ورفع التاريخ أعلى مَنْزَلَهُ بين الأناجيل عَلَتْ أصولُهُ ألم يكُ التاريخُ ظلَّ العالمِ توهَّم الخُلْدَ به الأوائلُ وطَلِبَ الصَّيْتُ به قديماً والنفسُ ترجو هَمَّةَ الخلودِ توهَّمُ الحياةَ بعد موتِ ضاقتُ على النوايح الأجالُ في كل ذي روح هوى الحياةِ فكُنْ إذا أحببتَّها فحَمَّ الهوى انظُرْ إلى الآباءِ كيف هاموا رمسيسُ وهو في البناءِ من هُوا ما زال حتى غَصَبَ الأثارا أخَرَ في عصورها وقَدَّمَا يَسْرِقُ آثارَ بني أبيه</p>
---	--

* * *

<p>يمضي الزمانُ وهما في المدرسه ولا الكتابُ بالِغِ النهايه من آدمَ الجَدِّ إلى القيامِ وأتقن التَّأليفَ والإنشاءَ وما أتمَّ فيه غيرَ بابِ وعن نوائبِ البلى يَجَلُّ</p>	<p>مَنْ دَرَسَ التاريخَ أو مَنْ دَرَسَهُ لا يبلغان في الكتابِ غايه ذاك كتابُ الناسِ والأيامِ تأنقُ الدهرُ به ما شاءَ أنفقَ فيه زمنَ الشبابِ يكبُرُ أن يَطويه السُّجُلُ</p>
--	--

ولو مشت عليه بالرماح
تهازؤ المصحف بالوليد^٦
ولا يزول في القبيح ما وسم
ونازعاً من الطباع غالباً
واغش الطلول وتنقل في الدمن
يُهيئنا للحكمة الأفكارا
وحكمة تُودعها الأخبارُ
ومَيِّز العث من الثمين
ما كلُّ من قص فقد تقصى
تجدّه في مظلمة مبينا
وتُسق في الفضة عذباً سائعا
عينان في التاريخ يجريان
مشت على أيامها العوادي
في شعرها تمثلت دنياها
فاخش بأن تخلقه وتصنعه
أليس كالكير^٨ الذي ينفي الخبث
والكذب من أراذل الصفات
ماذا ترى فيمن يغش عالما؟

عالٍ على كف المغير الماحي
مستهزئ بالغاشم البليد
لا يمحي من الجميل ما رسم
فإن وجدت خاطراً مُطالباً
فقف على آثار أعيان الزمن
وعالج النجوى والأدكارا
فالرُوح في التاريخ الاعتبارُ
وحُذّه من مُحقق أمين
إياك والمؤرخ المِقْصَا
وقدم المُعبّر المَبِينا
وتلق منه جَوْهراً أو صائعا
فمن كريم الشعر والبيان
لولا أوابد^٧ من البوادي
الشعر بعد موتها أحيائها
وإن ملكت مرة أن تصنعه
وهبه لم يأمن عوادي العبث
ما أقبح الكذب على الرُفات
من غش نفساً جمع المظالما

^٦ إشارة إلى قصة الوليد مع المصحف.

^٧ الأوابد الغرائب.

^٨ زق ينفخ فيه الحداد.

الوطن

وجانبٍ من الثرى يُدعى الوطنُ
مُزَيَّنٌ لِلأَدْمِيِّ العَاقِلِ
والأسدِ الخادرِ في البوادي
وَنَزَعَةُ الناسِ إلى أوطانها
يُحِبُّهُ الأَقْوَامُ منذ كانا
إذا أتاهم أَيْسَرُ النَّدَاءِ
أو نُكِرَ الحَنِينُ والحِفاظُ
كم من دماءٍ سَلَنَ حَوْلَ حَوْضِهِ
وفي سبيله قَضَى رجالُ
وباسمه كم تَجَرَّ الفُسَّاقُ
وانقادتِ الناسِ لهم فساخوا

* * *

وتَكَرَّمُ الدارُ على الحرِّ الأبِّي
وليس من عَرِضٍ ولا حريمِ
الجِسمِ من تُربته ومائه
كرامةُ الأمِّ عليه والأبِ
تحميه فوق الوطنِ الكريمِ
والرُّوحُ رَوْحُ هَبٍّ من سمائه

١ ساكن السهل.

٢ ساكن الجبل كالوعل.

وَكُلُّ مَا حَوْلَكَ مِنْ هِبَاتِهِ
أَمَانَةُ الْأَوَّلِ عِنْدَ الْآخِرِ
وَحَوْضٌ مَا جَفَّ مِنَ الشَّبَابِ
وَرَسْمٌ مَا بَانَ مِنَ اللَّيَالِي
وَمُخْلَقُ الشَّبَابِ وَالْمَشْيَبِ
وَفِي ثَرَاهِ الْبَلْقَعِ الْيَبَابِ
وَفَى لَهُ مِنْ لَيْسٍ بِالْوَفِيِّ
وَمَا وَلَدْتَ فَهُوَ مِنْ نَبَاتِهِ
خِزَانَةُ الْآثَارِ وَالْمِفَاخِرِ
وَقَصَفَ الدَّهْرُ مِنَ الْأَحْبَابِ
وَأَثَرُ الْأَيَّامِ فِي الْخِيَالِ
وَمُلْبَسُ الْبَالِي عَلَى الْقَشِيبِ
مَا شِئْتَ مِنْ أَهْلٍ وَمِنْ أَحْبَابِ
وَهَشٌّ مِنْ لَمْ يَكُ بِالْحَفِيِّ

* * *

وَالْمُلْكُ كَالنَّاسِ لَهُ أَوْطَانُ
يَدِينُ جَنْسٌ سَائِرُ الْأَجْنَاسِ
يَأْتَمُرُ الضَّعِيفُ بِالْقَوِيِّ
فِي دَوْلَةٍ مَمْدُودَةِ الطَّرَافِ
بَلَّغَهَا الْعَنْفُ ذُرَا الْإِقْبَالِ
هَبَّتْ ضُحَى عَلَيْهِ فَاشْمَخَرَا
رُومَا الَّتِي رَاعِ اتَّسَاقُ مُلْكُهَا
أَمَسَتْ هَوَتْ عَنْ عَرْشِهَا الْمُعْظَمِ
لَمْ تَتَّقِ اللَّهَ وَلَا الْأَيَّامَا
بَنُو الزَّمَانِ، فَوْقَهُمْ بَنُوهَا
وَمَا لَهُمْ مِنْ وَطَنِ سِوَاهَا
كَثِيرُ أَوْطَانِ بِلَا التَّنَامِ
وَجَمْرَةٌ فِي كَيْدِ الْمَنْقَادِ
وَكُلُّ فَأْسٍ وَقَعَتْ فِي الدَّارِ
فَحَكَّمَ اللَّهُ عَلَى الرُّومَانِ
لِتَرْتِ الْأَيَّامُ شُبَّانَ الْأُمَّمِ
يَنْظِمُهَا لِلْأَمَمِ السَّلْطَانُ
وَيَدْعِي نَاسٌ وَوَلَاءَ نَاسِ
وَيَأْمُرُ الرَّاشِدُ فِي الْعَوِيِّ
مَشْدُودَةِ الْبُهْرَةِ^٣ بِالْأَطْرَافِ
كَالرِّيْحِ تَبْنِي الْمَاءِ كَالْجِبَالِ
وَرَكِدَتْ عَشِيَّةً فَخَرَا
وَهَتْ يَوَاقِيتِ الْقَرَى مِنْ سَلْكِهَا
وَأَصْبَحَ التَّاجُ كَأَنْ لَمْ يُنْظَمِ
فِي أُمَّمٍ سَبَتَهُمُو أَيَّامِي
تَكْبُرًا وَسُنَّةً سَنُّوهَا
عَلَى تَدَانِي الدَّارِ أَوْ نَوَاهَا
وَأُمَّمٌ شَتَّى بِلَا وَئَامِ
وَلَاعَجٌ مِنْ كَامِنِ الْأَحْقَادِ
تَنْزِلُ بِالْأَسِّ وَالْجِدَارِ
وَأَدْرَكْتَهُمْ سُنَّةُ الزَّمَانِ
وَالِإِزْتُ لِلشَّبَابِ حَقٌّ مِنْ أُمَّمِ

^٣ الوسط.

وَأَنْجَزَ اللَّهُ النَّبِيَّ وَعْدَهُ
فَوَرثُوا قِيسَرَ فِي الْمَشَارِقِ
وَأَمَّنُوا الْأَمْصَارَ فَاتَحِينَا
وَاتَّخَذُوا كُلَّ الْقَرْىِ أَوْطَانَا
فَحَيْثُ حَلَّ الْعَرَبِيُّ حَيًّا
وَشَاطَرَ الْأَرْضَ عَلَى التَّسَاوِي
حَتَّى انْقَضَى سُلْطَانُهُمْ وَزَالَا
تَغَيَّرَتْ كَدَابُّهَا الْبِلَادُ
وَدِينُهُمْ بَيْنَ الشُّعُوبِ دِينُهُمْ
وَذَلِكَ اللَّسَانُ بَاقٍ لَمْ يَزَلْ
لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ سِوَى الْأَصْوَاتِ
وَسَادَ قَوْمُهُ الزَّمَانَ بَعْدَهُ
وَأَخَذُوا الْغَرْبَ بِسَيْفِ طَارِقِ
وَعَدَلُوا فِي الْعَالَمِينَ حِينَا
وَحَاسَنُوا الْأَهْلِينَ وَالْقُطَانََا
مِنَ الْمَلَا قَبِيلَةً وَحَيًّا
مَحَاسِنَ الْأَقْوَامِ وَالْمَسَاوِي
وَفَضَّلُهُمْ بَاقٍ وَلَنْ يَزَالَ
وَانْتَقَلَ الزَّمَانُ وَالْمَقَادُ
يُعَيِّي عَلَى الْأَيَّامِ مَنْ يَدِينُهُمْ
يَمْضِي عَلَيْهِ مَنْ جَلَا وَمَنْ نَزَلْ
وَعَجَبٌ تَكَلُّمُ الْأَمْوَاتِ

البيتُ الحرام

دارٌ عليها ميسمٌ^١ من القدمِ
مهدُ الهدى في الأولين ركنُها
تلك جباهُ الرُّسل في ترابها
غنيةٌ عما كساها أسعدُ^٢
وكم جلاها في اليماني المسبَلِ
لا تلمسنَّ وشيهاً ضريراً
حُجَّتْ على أول خُفٍّ وقدمِ
وحصنُه في الآخرين صحنُها
وخذُ إبراهيمَ في محرابها
في الدهر وهو بالثناءِ أسعدُ
من قِبلتْ منه ومن لم تقبلِ
رُبَّ عروسٍ تلعنُ الحريراً

* * *

تواضعتُ بين شعابِ الوادي
لم تُبِنَ بالصُّفاحِ والصَّوَانِ^٣
لا يدُ خوفو، أرهقت فيها البشرُ
بل صنُعُ شيخٍ مُقبِلٍ مُزاوِلِ
لم تتخذُ تبنُحَ الأطوادِ
ولا علتُ تعاليَ الإيوانِ
ولا سليمانُ لها الجنَّ حشرُ
أُعينَ بابنٍ يافعٍ مُناولِ^٤

^١ جمال.

^٢ من كسا الكعبة الوصائل والملاء، وإنه أول من كساها.

^٣ الحجارة العظيمة.

^٤ فرعون مشهور.

^٥ هما إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.

قد رفعاها حجرًا فوق حجرٍ
 الله يُوحِي وَالْأَمِينُ يَشْهَدُ
 حَتَّى تَجَلَّتْ قَبَّةُ الْإِيمَانِ
 وَرَكْنُهَا كَأَمْسٍ فِي أُمِّ الْقُرَى^٧
 دَعَاءً مِنْ حَاشِيَةٍ وَتَقْوَى
 وَمَا بَنَى الْحَقُّ لَهُ الثُّبُوتُ
 تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنَ الْحَوَارِيِّ^٨
 وَاخْتَارَ مِنْ عِبَادِهِ قَبِيلًا
 أَوْلُو الْإِلَهِ الْكِرْمَاءُ عَهْدًا
 الرَّاضِعُو زَمَزَمَ فِي الْهَوَاجِرِ
 غُرَّةَ آبَائِهِمُ الذَّبِيحِ^٩
 أَبْنَاءَ إِسْمَاعِيلَ حَوْلَ بَكَّةَ^{١٠}
 بِيْتَهُمْ مَحْبُوكَةٌ مَفَاخِرُهُ

ووضعا فيها على اليُمن الحجر^٦
 وتخشعُ الأرضُ ويعلو المعهدُ
 ممدودةً الظل على الزمان
 تُطَوَّى القبابُ والقصورُ والقرى
 على تطاول الزمان تقوى
 وما بنى الباطلُ عنكبوت
 واختصَّ بالبيت وبالجوارِ
 للبيت يهدونهمو السبيلا
 النازلو البيت العتيق مهذا
 وهي تدرُّ من بنانِ هاجر^٩
 والأمهاتِ جرهمُ الصبيح^{١١}
 تضيّعت منهم شعابُ مكّة
 أوّلُه نبوّةٌ وآخِرُهُ

* * *

انتشروا قبائلًا على الزمن
 بَدُوْ بِكُلِّ نَشْزٍ وَقَاعِ
 تَنَقَّلَتْ فِيهِمْ دِيَانَاتُ الْأَوَّلِ
 وَالذِّينَ بَيْنَ الْقَدَمَاءِ عَدَوَى

ملءَ الحِجازَ والشَّامَ وَالْيَمَنَ
 وَحَضَرَ فِي عَامِرِ الْبِقَاعِ
 تَنَقَّلَ الْأَيَّامَ فِيهِمْ وَالذُّوْلُ
 يَقْطَعُ أَجْوَازَ الْقِفَارِ عَدَا

^٦ الحجر الأسود.

^٧ مكة.

^٨ إبراهيم عليه السلام.

^٩ زوجة إبراهيم عليهما السلام.

^{١٠} إسماعيل.

^{١١} جد حي من العرب البائدة.

^{١٢} بطن مكة.

البيتُ الحرام

نارُ المَجوسِ وجدتُ مجازاً
بقيةً تؤمُّنُ بالجليلِ
وعُصبةٌ على هدى الأَحبارِ
ألُ ابنِ عمرانَ أو ابنِ مَرِيما
وفِرقةٌ دَهريَّةٌ جُحَّادُ
وأخرونِ افتتنوا بالنارِ
أو ألَّهوا ما نحتوا من الحجرِ
وغيرُهم بالحيوانِ دانا
كلُّ من الحيرةِ والضلاله
قد هجروا الشمسَ إلى الأَيَّةِ^{١٥}
وبلبلت ألسنَهُم أسماءُ
وابنُ سنان^{١٣} أنقذَ الحِجازا
يتَّبعونَ مِلَّةَ الخليلِ
أهلُ كتابٍ يعبدونَ الباري
فمن بهاتيك الشَّعابِ خيِّما؟
عن كل دينٍ لهمو إلحادُ
أو سجدوا للكواكبِ المُنارِ
أو عبدوا ما استنبتوا من الشجرِ
وقدَّسَ الأرواحَ والأبدانا
يعشوا^{١٤} إلى القوةِ والجلاله
وجاوزوا المُحيي إلى الحياة
فكثُرَتْ في حُبِّها الأسماءُ

* * *

مكةُ دارُ المُلكِ والبيتُ المَلِكُ
واتفقوا في الحبِّ والتَّجَلُّه
يجمعُهُم من كل سهلٍ وجبلٍ
يَسْدِنُ^{١٩} ساداتُهُم قبابه
وهاشمُ السُّحْبُ سُقاةُ الوفدِ
والمُسي الوفود^{١٦} في سُرَّها تهتَلِكُ
على اختلافِ مذهبٍ ومِلَّةٍ
ضوايح^{١٧} الخيلِ روازح^{١٨} الإبلِ
ويحجُبُ الصَّيْدُ السُّرَّاءُ بابَه
الغامرونِ غيرُهُم بالرَّفْدِ^{٢٠}

^{١٣} في ابن الأثير أنَّ نارا ظهرت ببلاد العرب في الجاهلية فكانت فتنة لهم وكادوا يتمجسون، فأطفأها خالد بن سنان العبيسي.

^{١٤} يجيء إلى.

^{١٥} الشعاع.

^{١٦} مسيرها بالليل إلى البيت.

^{١٧} أي تُسمع أنفاسها من شدة العدو.

^{١٨} أي منطرحة إبلهم إعياء.

^{١٩} يخدم.

^{٢٠} الرغد: العطاء.

دَارٌ لِأَقْوَامٍ مُجَاوِرِينَ وَمَنْسَكٌ^{٢١} طَهْرٌ لِأَخْرِينَا
 وَمَوْسِمٌ السُّومِ^{٢٢} وَالْاِكْتِسَابِ وَنَدْوَةٌ النِّدَاءِ بِالْأَنْسَابِ
 وَمِنْبَرٌ حَفَّتْ بِهِ الْقِبَائِلُ إِيَادُ^{٢٣} مِنْ أَعْوَادِهِ وَوَائِلُ
 قَسٍ فِي النَّهْيِ قَسًّا^{٢٤} إِلَى سُقْرَاطِ يَتَّزِنُ الْقَيْرَاطُ بِالْقَيْرَاطِ
 كَانَ مَسِيحِيًّا وَكَانَ فَاضِلًا وَكَانَ عَنْ حَقِيقَةِ مُنَاضِلَا
 مُحَمَّدٌ مِنْ نَاقِلِي عِظَاتِهِ وَالصَّاحِبِ الصَّدِيقِ مِنْ رُوَاتِهِ
 وَحَرَمُ الْآدَابِ وَالْأَخْلَاقِ وَكَيْفَ لَا وَهُوَ حَمَى الْخَلَاقِ
 لَا يُنْطَقُ الْهَجْرُ بِهِ وَالْإِفْكَ وَلَا يَحِلُّ لِلدَّمَاءِ سَفْكَ
 وَمَعْبَدٌ مُشْتَرِكٌ مُشَاعٌ^{٢٥} كَلُّ الْعِبَادَاتِ بِهِ مَشَاعُ
 أَعْجَبُ مِنْهُ لَمْ يَرَ الْأَنْامُ يُعْبَدُ فِيهِ اللَّهُ وَالْأَصْنَامُ
 فَالْبَيْتُ خَالِي الْجَنَبَاتِ عَاطِلُ يَجَاوِرُ الْحَقَّ عَلَيْهِ الْبَاطِلُ
 يُحَجُّ لَلْبِرِّ وَلِلْخِلَالِ وَتَارَةً لَلَّهِ ذِي الْجَلَالِ
 كُلُّ فَرِيقٍ حَوْلَ مَا أَحَبَّأ وَكُلُّ قَوْمٍ يَعْبُدُونَ رَبًّا
 تَسْمُحٌ لِلْعَرَبِ الْقُرُومِ لَمْ يُلَفَّ فِي الْفَرَسِ وَلَا فِي الرُّومِ
 سُقْرَاطُ لَوْ جَاوَرَهُمْ مُعَافَى لَمْ يَذِقِ السَّجْنَ وَلَا الزُّعَافَا

^{٢١} متعبد.

^{٢٢} المساومة.

^{٢٣} إياد ووائل قبيلتان.

^{٢٤} عربي خطيب حكيم.

^{٢٥} المشاع والمشاع واحد، وهو غير مقسوم.

السيرة النبوية الشريفة

مُحَمَّدٌ سُلَالَةُ النَّبُوَّةِ ابْنُ الذَّبِيحِ^١ الطَّاهِرُ الْأَبْوَهْ
العَرَبِيُّ طِينَةٌ نَبِيلُهُ الْقُرَشِيُّ الْبَاذِخُ الْقَبِيلَةُ
أَبُوهُ ذُو النُّورِ الْجَمِيلِ الْجَعْدُ وَمُرْضِعُوهُ الْفُصْحَاءُ سَعْدُ^٢
وَبَيْتُهُ النُّجْمُ الرَّفِيعُ شَهْرُهُ وَنَبْعَتَاهُ هَاشِمٌ^٣ وَزَهْرُهُ

* * *

قد نزل اليُتْمُ به جنينا لم يتهَيَّبْ سيدَ البنينا
فنهضتْ بأمره العناية تُحْسِنُ فِي نَشَأَتِهِ الْبِنَايَةُ
لَمَّا حَوَاهُ أَلَّهُ يَتِيمَا حَوَى فَرِيدًا سَلَكُهُم يَتِيمَا
من شَيْبَةٍ الْمُبَارِكِ الْأَعْرُ إِلَى أَبِي طَالِبٍ الْأَبْرُ
وَلَا حُنُوقَ كَحُنُوقِ الْجَدِّ وَرُبَّ عَمٍّ مِنْ هِبَاتِ الْجَدِّ
فَشَبَّ حُلُوقًا سَمَّتُهُ^٤ وَدَلُّهُ لَيْسَ لَهُ مِنَ الْيَتِيمِ ذُلُّهُ

^١ إسماعيل.

^٢ حَيٌّ مِنَ الْعَرَبِ.

^٣ هَاشِمٌ: أَبُو عَبْدِ الْمَطْلَبِ جَدُّ رَسُولِ اللَّهِ لِأَبِيهِ، وَزَهْرَةٌ: أَبُو عَبْدِ مَنْفَعِ جَدُّهُ لِأُمِّهِ، وَكِلَاهُمَا مِنْ سَادَاتِ الْعَرَبِ.

^٤ اسْمُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ جَدِّ رَسُولِ اللَّهِ.

^٥ السَّمْتُ: حَسَنُ الْهَيْئَةِ، وَالذُّلُّ: السُّكِينَةُ وَالْوَقَارُ وَحَسَنُ السُّلُوكِ.

من اجتناب الخمر والأزلام^٦
وهكذا من يُجْتَبَى نبيا
وخيلاء في بني قريش
دون بني الأعيان بالأمين
والصدق كان من حلى آباءه
فلم يزل مُجَلِّي^٧ المجال
مثل ابن عبد الله للسبق خلُق
ما لا يحوز بشر في العادة
وأجود الناس بما أصابا
وكان في المهد لذاك أهلا
قد علمت ذاك حنين^٨ وأخذ
عن جاره وواصل الأرحام
الحلو في العيون والمسامح
ما أضيع الحسن على الأغمار
أعيا المجيدين مدى إحسانه
وبله بريقه جبريل
وكيف لا وهو جوامع الكلم

مرتسما في أدب الإسلام
منحرفا عن الدمي صبيا
مُبراً من نزق وطيش
مُلَقَّباً في البلد الأمين
مُجَمِّلاً بالصدق في صباهه
حتى جرى لغاية الرجال
فات قريشاً بمكارم الخلق
قد حاز من مواهب السعادة
أكرم من صوب الحيا نصابا
وقائد الخيل فتى وكهلا
إن حاد في الكرب الكماة لم يحد
وذائد الحقوق والمحمامي
الأصبح الأفضح في المجامع
إن الجمال حلية الأقمار
من جزية الوحي على لسانه
حديثه حلاه إسماعيل
حلية من صاغ الكلام وعلم

* * *

لا يدع الرزق وطرق بابيه
لم يطلب الرزق ويبلغ سبله؟
وكان عيسى في الصبا نجارا
الخبز لا يعطى ولكن يكسب
مضيِّقا عليه أو موسعا

كان رسول الله في شبابه
أي رسول أو نبي قبله
موسى الكليم استؤجر استجارا
من أحسن الأمثال فيما أحسب
والرزق لا يحرمه عبد سعى

^٦ سهام كانت جاهلية تستقسم بها.

^٧ الجواد الأول في السابق.

^٨ من غزوات رسول الله.

لا تألُّ لا سعيًّا ولا تُكلِّنا
 كان قُبَيْلَ البعثِ رَبِّ مالٍ
 يَضْرِبُ في حَزْنِ الفلا وسهلهِ
 مُبارَكَ الرِّحْلَةَ والإقامه
 وليس للتاجر من ضمانه
 والرزقُ بين الناس بحرُّ جارٍ
 وما تلقَى الرزقُ باليمينِ
 فاسترزقِ الله وقفً ببابه
 لا بدَّ في هذي الحياة من أدبٍ
 فأدبُ الصانعِ إتقانُ العملِ

* * *

لما أخال^٩ الرُّشدَ والهدايه
 دعاه داعٍ لم يكنُ بالبال
 يصعدُ مثل «النجم» فيها موفياً^{١٠}
 وكم أواها خاليًّا بنفسه
 عالَجَ في «المعارج» «الإسراء»
 بات على «الإخلاص» «والإيمان»
 «والكافرون» في «قريش» «والبلد»
 حتى أتى «الفتح» وجاء «النصر»
 وهبط «النور» عليه وحياً
 مُنزلًا بحسبِ الزمانِ
 في كل ليلٍ أو نهارٍ آيه

^٩ بشر بالخير.

^{١٠} أي مشرقاً.

^{١١} كضوء النجم في الكهف لا يراه من في الخارج.

جامعةً بين البيان الرائع
ولم يزلْ نزولُه مُفَرَّقًا
مُسايرَ النَّبِيِّ طَوْلَ عُمُرِهِ
حتى إذا أَمسى القَضَاءُ حُمًّا
وبين عليا حِكم الشرائع
مُشَرِّقًا به الحِجَازُ مُشْرِقًا
ونورَه فيما دجى من أمره
تمت حياة المصطفى وتمًّا

* * *

كان ابتداء الوحي في جِراءِ
الله خَيْرَ خَلْقِهِ أعطاهَا
أرسله قلادةَ النظام
فجاءَ بالخير ذوي قُرْبَاهِ
ناجاهمو ببيِّناتِ رَبِّهِ
فَقِيلَ فِيهَا أَسْبَقُ الْإِنَاثِ
وفي الرجالِ لأبي بكرٍ يَدُ
وكانت الدَّعوةُ بالكتابِ
فلم تزلْ حتى انثنت بحَمزةٍ
ودخل المستضعفون^{١٤} فيها
عُذِبَ بعضهم ربيطَ الجاشِ
وصبرَ الداعي على البذاءِ
فما مقالُ الجاهلِ المفنِّدِ
أمن يسُلُّ سيفَه يستخفي
من استطاع أخذَ شيءٍ عنوهُ

فاتحةُ الرسالة الغراءِ
وحَمَلَ الأمرَ العظيمَ طه
عصماءَ عقدِ الرُّسُلِ العظامِ
مَنْ قَبِلَ الرُّشْدَ وَمَنْ أَبَاهِ
فَأَمَنْتُ «بِنْتُ خُوَيْلِدٍ»^{١٢} بِهِ
وفي عَلِيٍّ أَسْبَقُ الْأَحْدَاثِ
بالسبِقِ لم يبلغْ مداها سيِّدُ
وحجةُ الله على المرتابِ
وانقلبتْ بعُمرٍ فعزَّت^{١٣}
كلُّهمو خوفَ الأذى يُخفيها
وبعضُ التجا إلى النجاشي^{١٥}
وما يُلاقِيه من الإيذاءِ
تأسَّسَ الإسلامُ بالمُهَنْدِ؟
ويحملُ الخسفَ لأهلِ السُّخْفِ!
كان له عن العلاجِ غَنوهُ^{١٦}

* * *

^{١٢} السيدة خديجة زوجة رسول الله.

^{١٣} نُصرت وتأييدت.

^{١٤} الذي يرى عليهم الضعف.

^{١٥} ملك الحبشة.

^{١٦} أي غنى.

وبلغ الأذى به مداه
 و زاد عن خير البنين ومَنع^{١٧}
 ورُكِنُها قبل اشتداد بأسِها
 فأَعوزَ الحامي وعزَّ الجارُ
 وجال غاويها وصال الغاشمُ
 عمُّ، ولكن مَذَهَبَ السوء نَهَبُ
 ما وُصِفَتْ إلا لِنَفْسِ حُرَّة
 ومذهبُ الروح ولَمَّا يُحَوَّلُ^{١٩}
 وخصمَاءُ الظلم والظلامِ
 إن ضنَّتِ الأوطانُ بالقرارِ

نال الرسولَ الضُّرُّ من عداه
 ومات من أوى وربَّى واصطنعُ
 وحائطُ الدَّعوةِ في أساسِها
 وارثُ أبا طالبِ الأحجارُ
 وركبتُ متنَّ هواها هاشمُ
 وكان من أفحشها أبو لهبٍ^{١٨}
 فحقتُ الهِجرةُ وهي مُرَّة
 سبيلُ موسى في الزمانِ الأوَّلِ
 ومركبُ الأفرادِ والأعلامِ
 ما أجملَ الهِجرةَ بالأحرارِ

* * *

إن العظيم للعظيم يصطبِرُ^{٢٠}
 حتى على الرُّسلِ أولي الهدايَةِ!
 إن وُجِدَتْ أذُنٌ له سَماعُهُ
 وقبضَةُ الأوهامِ من حديدِ
 وما دري أو سمعَ المُؤذونَا
 قد نصبَتْها شَرَكًا أيدي العدا
 وانتدبتُ للفتكةِ الفتيانُ
 ليغدروا في داره الأَمينا
 لم يرَهُ الجمعَ ولم ينتبِه
 وفي البلاءِ يُعرفُ الصِّديقُ

تأمَّلِ الرُّسلَ الكرامَ واعتبِرْ
 ما أصعبَ الدعوةَ في البدايَةِ
 وأثقلَ الحقَّ على الجماعهِ
 والناسُ في عداوةِ الجديدِ
 هاجرَ من أم القرى ماذونا
 في ليلةٍ للختلِّ كانت موعدا
 اثتمرتُ في النَّدوةِ^{٢١} الأعيانُ
 وقعدوا ناحيةً كَمينا
 فخرجَ الله من البيتِ بهِ
 وسارَ في ركابه الصِّديقُ

^{١٧} هو عمه أبو طالب.

^{١٨} عمه المذكور في القرآن.

^{١٩} عيسى عليه السلام ولم يكن اكتمل حولاً.

^{٢٠} إشارة إلى هجرة أكثرهم وتجرعهم غصة الخروج من الديار.

^{٢١} دار الشورى.

من يَنْصِرِ الرَّحْمَنُ مِنْ ذَا يَغْلِبُهُ؟!
 وَأَخَذُوا السُّبُلَ مُسَائِلِينَ
 وَبَلَدَةَ الْأَعْيَانِ وَالْأَنْصَارِ
 وَعُصْبَةَ سَامِعَةَ مُطِيعَهُ
 وَبَدَلُوا فِي الْمَوْسِمِ الْمُتَابِعَةِ^{٢٢}
 خَوْفَ قُرَيْشٍ وَاتِّقَاءَ الشَّرِّ
 وَمَنْزَلَ رَحْبِ الْفِنَاءِ سَهْلُ
 كَأَنَّهُ مِنْ أَرْضِهِ لَمْ يَخْرُجْ
 وَامْتَلَأَتْ مِنْ مَظْهَرِ وَقْوِهِ
 يُحَارِبُ الضَّلَالَ وَالْأَهْوَاءَ
 لَمْ يَعُدْ فِي حَرْبِ قُرَيْشٍ حَقَّهُ
 لَا يَسْتَوِي الدَّفَاعُ وَالْعُدَاوَانُ
 وَإِنْ يَكُنْ مِنْ شُهْبَيْهَا وَجِنِّهَا
 وَطَرَدُوا الْإِسْلَامَ كُلَّ مَطْرَدٍ
 وَنَاصَبُوا مُحَمَّدًا وَالِدَيْنَا
 وَنَقَضُوا مَا أُبْرِمَ التَّعَاهُدُ
 قَدْ تُوخِّدُ السَّلْمُ بَحْدِ السِّيفِ
 وَرَفَعَةَ الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ
 وَبَارْتَدَاءَ الْمُشْرِكِينَ الذَّلَّةَ
 وَانْكَشَفَتْ بَيْنَهُمَا سِجَالًا
 دَارَتْ عَلَى ثَبَاتِهِ رَحَاهَا
 وَالْحَرْبُ لِلْقَائِدِ ذِي الدَّرَايَةِ
 لِنَقْضِهِمْ مُوَكَّدَ الْعَهْدِ

فَانْتَشَرَتْ خَيْلُ قُرَيْشٍ تَطْلِبُهُ
 مَرُّوا عَلَى الْغَارِ مُضَلَّلِينَ
 حَتَّى بَدَتْ سَيِّدَةَ الْأَمْصَارِ
 وَكَانَ فِيهَا لِلرَّسُولِ شِيعَهُ
 قَدْ عَرَضُوا بِمَكَّةَ الْمَبَايِعَهُ
 وَكَانَ إِيمَانُهُمْ فِي السَّرِّ
 فَكَانَ لِلْقَادِمِ مِنْهُمْ أَهْلُ
 بِالْيَمَنِ الْقَى رَحْلَهُ فِي الْخَزْرَجِ
 وَامْتَنَعَتْ يَثْرَبُ^{٢٣} فِي النَّبُوءَةِ
 وَاجْتَمَعَتْ حَوْلَ الْهُدَى لَوَاءَ
 كُلُّ غَزَاةٍ لِلنَّبِيِّ حَقَّهُ
 لَيْسَ سِوَاءَ كُلِّهَا الْعَوَانُ^{٢٤}
 وَرَبٌّ صَالٍ نَارَهَا لَمْ يَجِنِّهَا
 هُمْ بَلَّغُوا نَهَايَةَ التَّمَرُّدِ
 وَصَادَرُوا الْأَمْوَالَ مَعْتَدِينَ
 وَهَادَنُوا ثُمَّ بَغَوْا فَنَاهَدُوا
 فَكَانَتْ الْحَرْبُ لِدَفْعِ الْحَيْفِ
 وَكَانَ «بَدْرٌ» مَطْلَعُ الْأَيَّامِ
 وَأَوَّلَ الْعَهْدِ بَعَزُ الْمَلَّةِ
 وَ«أُحُدٌ» جَالُوا بِهَا وَجَالًا
 خَيْرُ الْأَسَاةِ كَانَ مِنْ جَرَحَاهَا
 خَالَفَ فِيهَا الْمُسْلِمُونَ رَايَةَ
 وَ«خَيْبَرٌ» كَانَتْ مَعَ الْيَهُودِ

^{٢٢} متابعته على دينه الحق.

^{٢٣} المدينة.

^{٢٤} الحرب العظيمة.

وَدَسَّهْمٌ عَلَيْهِ فِي قَرِيشٍ
 كَيْلُوا بِسَيْفِ الْحَقِّ كَيْلَ السَّنْدَرَةِ
 فَلَمْ يَدْعُ حَصَنًا عَلَيْهَا قَائِمًا
 وَمَا يَهُودٌ بِالسُّخَافِ الْأَعْبِيَا
 إِنِّي أَظُنُّ الْحَرِصَ مَنَى الْقَوْمَا
 وَأَنْ دِينَتَهُمْ بِذَلِكَ أَجْدَرُ
 وَفِي حُنَيْنٍ عَظَمَ الْبَلَاءُ
 اغْتَرَّتْ فِيهَا الْمَسْلَمُونَ كَثْرَهُ
 أَنْسَاهُمْ الْحُطَامُ ذَكَرَ السَّاعَةَ
 لَوْلَا رَسُولُ اللَّهِ فِيهِمْ بَادُوا
 أَيْدٍ بِالصَّبْرِ وَبِالثَّبَاتِ
 وَنَزَلَ النُّصْرُ مِنَ السَّمَاءِ
 فَكَانَ لِلْهَادِي عُلوُّ شَانِ

* * *

قَفَّ بِقَرِيشٍ بَعْدَ بَدْرِ وَسَلِ
 أُمَّ حَسَدًا، وَالْأَهْلُ أَهْلٌ لِلْحَسَدِ
 أَوَّلُ مَحْسُودٍ هُوَ الْقَرِيبُ
 تَرِيدُ حَرْبًا وَيُرِيدُ سَلْمًا
 هُمْ مَنَعُوهُ الرُّكْنَ وَالْمَقَامَا
 أَرَادَ حَرْبَهُمْ فَسَيْلَ صَفْحَا
 عَاهَدَهُمْ فَأَخْلَفُوهُ الْمَوْثِقَا
 بَغَوْا عَلَى أَحْلَافِهِ الْكِرَامِ
 فَاسْتَصْرَخُوهُ فَآتَى مِنْ طَيْبِهِ^{٢٧}

مَا غَرَّهَا بَابِنَ أَبِيهَا الْمَرْسَلِ؟
 لَوْ اسْتَطَاعَ أَنْكَرَ الرَّأْسِ الْجَسَدُ
 وَالْفَضْلُ فِي دِيَارِهِ غَرِيبُ
 تَزِيدُ جَهْلًا فَيَزِيدُ حِلْمَا
 وَسِيمَ بِالْمَدِينَةِ الْمُقَامَا
 وَهَمَّ بِالْفَتْحِ فَقِيلَ صُلْحَا
 وَرَكَبُوا الْغَدَرَ الْوَبِيلَ الْمَوْبِقَا
 جِيرَتَهُ بِالْبَلَدِ الْحَرَامِ
 كَالسَّيْلِ يُزْجِي رَعْدَهُ وَسَيْبَهُ

^{٢٥} هو عليٌّ عليه السلام، ومرحَّبٌ بطل اليهود.

^{٢٦} أي كاشف الغمة.

^{٢٧} المدينة المنورة.

وَفُتِحَتْ مَكَّةُ لِلْإِسْلَامِ
وَنَزَّهَ الْبَيْتُ عَنِ الْأَوْثَانِ
وَرَفِقَ الْغَالِبُ بِالْمَغْلُوبِ
أَطْلَقَهُمْ وَمَنَّ بِالْأَمَانِ
وَكَانَ مِنْ تَسْوِيَةِ الْإِسْلَامِ
بَذَلُ النِّسَاءِ كَالرِّجَالِ الْبَيْعَةَ
مُسْتَقْبَلَاتِ الْمُصْطَفَى خَلْفَ الْخُمْرِ
بَايَعْنَ حَتَّى هُنْدٌ^{٢٨} الْمُنَاضِلَةَ
وَوَظَلَّتِ الدَّعْوَةَ فِي يَسَارِ
وَبُعِثَ الرَّسُلُ إِلَى الْأَحْيَاءِ
يَمْضُونَ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ
وَكَمِ أَتَتْ مِنْ دُونِهَا آجَالُ
حَتَّى أَظَلَّ الْعَرَبَ الْإِسْلَامُ
وَبَلَغَ الصُّمَّ بِلَاغِ الدَّاعِي
هَنَّاكَ حَانَ أَجَلِ الطَّبِيبِ
سَبْحَانَ مَنْ لَهُ الْبَقَاءُ دُونَ حُدِّ

وَحَلَّ فِيهَا ظَافِرَ الْأَعْلَامِ
وَاللَّهُ عَنِ نِدِّ لَهُ أَوْ ثَانِ
فَكَانَ أَيْضًا فَاتِحَ الْقُلُوبِ
فَالطُّلُقَاءُ هُمْ عَلَى الزَّمَانِ^{٢٨}
وَجَعَلَهُ الْفِتَاةَ كَالْغِلَامِ
لَا يُشْتَكِي لِحَقِّهِنَّ ضَيْعَةَ
يَأْخُذُهَا لَهُ عَلَيْهِنَّ عَمْرٌ^{٢٩}
عَلَى الْوَلَاءِ وَالْخِلَالِ الْفَاضِلَةَ
السِّيفُ يَحْمِي وَالْكِتَابُ سَارِ
يُحْيُونَ فِيهَا مَيِّتَ الْأَحْيَاءِ
وَيَنْتَنُونَ بِبَلُوغِ السُّؤْلِ
وَمَاتَ دُونَ الْوَاجِبِ الرِّجَالُ
وَشَمَلَ الْجَزِيرَةَ السَّلَامُ
وَأَسْمَعْتَهُمْ حَجَّةَ الْوَدَاعِ^{٣١}
وَحَكَمَ الْمَحَبُّ فِي الْحَبِيبِ
وَلَيْسَ فَوْقَ الْمَوْتِ غَيْرَهُ أَحَدُ

^{٢٨} هذا لقب أهل مكة بعد أن أطلقهم رسول الله وأمنهم.

^{٢٩} كل هذا إشارة إلى مبايعة عقائل قريش إياه عليه السلام.

^{٣٠} هند بنت عتبة أسلمت وبايعت، وكانت تؤذى رسول الله قبل الفتح.

^{٣١} آخر حجة لرسول الله خطب فيها وبلغ وأرى الناس مناسكهم وعلمهم حجهم.

الخلفاء الراشدون

الخلفاء الراشدون أربعه
في الذُّكر لم يُغفَلْ لهم حَدِيثُ
العُمَران^١ وابنِ^٢ أروى وَعَلِي
خلائفُ الله أئمةُ الهُدَى
كلُّهمو ابنُ أمِسه وَيَوْمِهِ
هُمُ النجومُ في سماءِ غالبِ
نماهمو كما نماهُ فَهَرُ^٣
معادنُ الوفاءِ والإخاءِ
ما مَنَعُوا الله ولا نبيَّهُ
وما الحَوَارِيُّونَ خَلَفَ عيسى

مَرْضِيَّةٌ سُنَّتَهُمْ مُتَّبَعَةٌ
وَذِكْرُهُمْ سَيَّرَهُ الْحَدِيثُ
فِي الذَّرْوَةِ الشَّمَاءِ وَالْأَوْجِ الْعَلِيِّ
وَطَأَ لِلْحَقِّ بِهِمْ وَمَهْدًا
عِمَادُ دَارِهِ عَمِيدُ قَوْمِهِ
وَمَطْلَعُ الْهَادِي الْمَنِيرِ الْغَالِبِ
فَبَيْنَهُمْ وَاشْجَةٌ وَصَهْرُ
صَحَابَةِ الشَّدَّةِ وَالرِّخَاءِ
قِيَادَ نَفْسِ سَمْحَةٍ أَبِيَّهُ
أَحَثَّ مِنْهُمْ لِلنَّجَاةِ عَيْسَاءُ

* * *

رُعاةُ شاءٍ وتِجارُ مالِ كالرُّسُلِ في هذا وفي الكمالِ

^١ أبو بكر وعمر.

^٢ عثمان.

^٣ هو أبو غالب سيد قريش ومن أجداد الرسول.

^٤ العيس: الإبل؛ أي هربًا من الدنيا وطلبًا للآخرة.

قد كفلوا الإسلامَ في صباهُ
بالنفسِ والنفسِ أَيْدُوهُ
وَأَمَّنُوا دِيكَ الْهَدَى فَصَاحَا
كَلْهُمُو فِيهِ الْمَجِيبُ الْأَوَّلُ
فَاسْبِقُ إِذَا الْحَقُّ دَعَا مُسْتَنْصِرَا
مَا حَمَلَ النَّفْسَ عَلَى الْأَشَقِّ
حَتَّى جَبَا الْأَرْضَ إِلَيْهِمْ مَنْ جَبَا
حَدَّثَ عَنِ الْخَلِيفَةِ الْخَمِيصِ °
مِثْلَ الْجَوَادِ زَانَهُ الْإِضْمَارُ
لَا يَعْقِدُونَ فِي الْجِبَاهِ الْعَسْجَدَا
وَتَحَتَّ أَقْدَامُهُمُ التَّيْجَانُ
كَسَرَى بِيْطِنِ الْأَرْضِ عَطْلُ الْمَفْرِقِ

فَأَيَّهِمْ نَادَى دَعَا أَبَاهُ
وَبِالْقَنَا وَالرَّأْيِ شَيْدُوهُ
وَأَمَّنُوا بِفَجْرِهِ مُنْصَاحَا
عَطُوهُ غَايَاتِ الرِّضَى وَنَوَّلُوا
وَكَنْ إِذَا عُدَّ الْحِمَاةُ الْخِنْصِرَا
كَقَائِلِ الصِّدْقِ وَحَامِي الْحَقِّ
وَمَلَكُوا الدُّنْيَا فَكَانُوا أَعْجَبَا
وَالْمَلِكِ الْمَخْرَقِ الْقَمِيصِ
وَالشَّمْسِ زَادَتْ حَسَنَهَا الْأَطْمَارُ
بَلِ التَّرَابِ لِلْمَلِكِ سُجَّدَا
يَنْدُبُهَا اللَّوْلُوُ وَالْمَرْجَانُ
وَقِيصْرُ يَنْدُبُ تَاجَ الْمَشْرِقِ!

خِلافة أبي بكر الصِّديق

سبحان من يُنعمُ كيف شاءَ
يقود بعد إِبِلِ ابنِ عامرٍ^١
سما سموَّ الثاقبِ السَّيَّارِ
من أُيِّدَ الحَقُّ به تَأَيِّدًا
وكلُّ عَزٍّ في ظِلالِ الباطِلِ
كم شوَّهَ الباطِلُ حينَ سوِّدَا
لما هابَ بالرسولِ الداعي
ولَّى أبا بكرٍ على الصلَاةِ
فبايعَ الطَّائِعُ والأبِيَّ
وكان ما لم يكُ منه بُدٌّ
أصابَتِ الفتنةُ والحبائلُ
وثابَ أقوامٌ إلى الأوثانِ
تنبأ فلقيا نجاحًا

ساس الورى من كان يرعى الشاء
ما دبَّ في غامرها^٢ والعامر
والخيرُ عُقبى صُحبةِ الأخيارِ
وعاش أو مات كريمةً سيِّدا
نسجُ عناكِبٍ وخيطُ باطلِ
كالنارِ تعلقو بالدُّخانِ أسودا
وآذن الجثمانُ بالتداعي
وتلك عُليا رُتِبِ الولاةِ
طوبى لمن بايعه النبيُّ
أقضيةُ الرحمنِ لا تُردُّ
ونكستُ بعد الهدى القبائلُ
وقام غاؤُ وتلاه ثانِ
وأتبعتُ طائفةً سَجاحا^٣

^١ هو عثمان بن عامر، أبوه رضي الله عنه.

^٢ الغامر من الأرض هو ما ليس بالعالي.

^٣ امرأة من العرب ادَّعت النبوة.

وَاقْتَحَمَ الْفِتْنَةَ فَابْتَلَّ عَمْرٌ^٤
 دَفَعُ أَبِي بَكْرٍ وَعَوْنُ الْمَوْلَى
 نَزُولُ ذَاكَ الْقَمَرِ التَّرَابِ^٥
 إِنْ الْمَهْمَاتِ مِيَادِينَ الْهِمَمِ
 وَفَتِيَّةٍ بُنُّوا مِنَ الْحَدِيدِ
 مَاضٍ فِرْنَدُهُ الصُّبَا بَتَّارُ
 أَجْرَى مِنَ الْهَلَالِ لِلْمَعَالِي
 وَوَصَلُوا الْجِهَادَ بِالْجِهَادِ
 وَاسْتَأْصَلُوا شَأْفَتَهُ وَدَابِرَهُ
 صَافِيَةً حِيَاضَهَا غَزِيرَهُ
 لَا بَدَّ لِلْبُنْيَانِ مِنْ تَمَامِ
 أَرْسَلَهَا مِنْ يُرْسَلُ الرِّيَاخَا
 بُورِكَ لِلشَّامِ وَلِلْعِرَاقِ
 وَمَتْنُهَا مِنْ ظَافِرٍ لظَافِرِ
 أَشْهَادُ بَدْرٍ أَوْ بَنُو الْأَشْهَادِ
 ثُمَّ تَرَقَّى فِي الْمَنَازِلِ الْقَمَرِ
 مَفَاتِحَ النَّهْرَيْنِ وَالسَّوَادِ^٦
 وَضَاقَ ذَرْعَا بَهُمْ غَشُومُهَا
 وَمَلَكُوا كَالشُّهُبِ الْبُرُوجَا^٧

وَاضْطَرَبَ الْحَبْلَ وَمَاجَتِ الزُّمُرُ
 يَوْمَ كَيْوَمِ السَّامِرِيِّ^٥ لَوْلَا
 غَمٌّ عَلَى الْحِجَازِ، فَاسْتَرَابَا
 جَلَّى الْإِمَامِ يَوْمَ ذَلِكَ الْغَمِّ
 أُعِينَ بِالتَّأْيِيدِ وَالتَّسْدِيدِ
 مِنْ كُلِّ سَيْفٍ سَلَّهُ الْمُخْتَارُ
 أَسَامَةٌ^٦ الْأَسْمَاءِ وَالْأَفْعَالِ
 قَدْ نَصَرُوا اللَّهَ وَبَرُّوا الْهَادِي
 وَأَصْلُوا الشَّرْكَ الْحَرُوبَ الْغَابِرَهُ
 وَرُفَّتِ السَّلْمُ عَلَى الْجَزِيرَهُ
 وَحُبِّبَ الْفَتْحُ إِلَى الْإِمَامِ
 فَانْسَاحَتِ الْكُتَاتِبُ انْسِيَاخًا^٨
 خَيْلٌ لَمْ سَنَّ أَنْتَرَ الْبُرَاقِ
 الْيَمْنُ مِنْ غَرَّتْهَا لِلْحَافِرِ
 يَقُودُهَا أَلْوِيَةُ الْجِهَادِ
 فَكَانَتِ الْبَصْرَةَ أَوَّلَ الثَّمْرِ
 وَفَتَحَ اللَّهُ عَلَى الْقَوَادِ
 وَاقْتَحَمُوا الشَّامَ فَنَالَ شُومُهَا
 وَسَلَكُوا الْجِبَالَ وَالْفُرُوجَا^٩

^٤ هو عمر بن الخطاب، قد كاد يُقتل من شدّة جزعه على رسول الله.

^٥ إشارة إلى فتنة بني إسرائيل بالسامري.

^٦ أي موت الرسول عليه السلام.

^٧ علم جنس على الأسد.

^٨ اندفعت.

^٩ هو سواد العراق أي ريفه.

^{١٠} الفروج: متون الأودية أو متون الطرق.

ونازلوا الرومَ بأجنادينا
يوماً - على ما شابه - سعيدُ
فما ثنى القومُ عن القتال
فَتُحُ الفُتوحِ كانِ حصَّتَيْنِ
وحوى العتيقُ^{١١} مُبتداً مفاخره
وأحرز الفاروقُ^{١٢} عزَّ أخره
فكان دنيا لهمو ودينا
قد تكدُرُ الأيامُ وهي عيدُ
نَعِيٍّ وإلٍ أو بشيرُ تالٍ
تناصفاً بين الخليفَتَيْنِ

* * *

فيا أبا الصَّراءِ والشدائدِ
وسابقَ الآلِ إلى التصديقِ
وباسطَ اليمينِ والشمالِ
وقدوةَ الزُّهادِ بعد الهادي
وكاسيَ الأراملِ الحُرَّاتِ
ويا رحيماً قلبه رقيقاً
ومن قضى بعد غنى فقيراً
ذهبت بالخير وأتعبت عُمرُ
رأيتَ فيه ما رأى الله لكا
عهداً كما كُجمعةً في عيدِ
الله زفَّ الفتحِ فيه وهدى
الشمسُ لو كانت تُحطُّ مَضَجَعاً
والصَّدفُ التامَ على اليتائمِ
والغمدُ لو يسكنه سيفانِ
واللفظُ راقٌ واحداً ورَاعاً
كروضةٍ وارْتكُما بالقاعِ
والناسُ إخوانٌ لدى الفوائدِ
وأويَ الغارِ مع الصَّديقِ
وتُعرَفَ الرجالُ عند المالِ
وصاحبَ الهجرةِ والجهادِ
وحالبَ الأغنامِ للجاراتِ^{١٣}
بماله كم حَرَّرَ الرقيقا
لم يجدوا في بيته نقيراً
يا ويح مَنْ بعدَ أبي بكرِ أمرُ
فكان فضلُ الله ثم فضلُكا
في ظلِّ يومٍ بهجٍ سعيدِ
إلى قنا الحقِّ وراياتِ الهدى
والبدرُ لو كان يقلُّ الهُجَعاً
من فَرِدِ اللؤلؤِ والتوائمِ^{١٤}
والجفنُ لو ينزله طيفانِ
حولَ معانٍ دقت اختراعاً
من طينةِ الجنةِ لا البقاعِ

^{١١} أبو بكر الصديق.

^{١٢} عمر.

^{١٣} كان رضي الله عنه يطلب الغنم لجاراته.

^{١٤} توائم النجوم أو اللؤلؤ ما تشابك منها.

دَوْلُ الْعَرَبِ وَعُظْمَاءُ الْإِسْلَامِ

خَيْرُ الْأَنْعَامِ وَرَدُّهَا الْمَصُونُ وَأَنْتَمَا الْأُورَاقُ وَالْغُصُونُ
صَحَابَةُ الدُّنْيَا رِفَاقُ الْبِرْزَخِ وَإِصْبَعٌ تَحْتَ الثَّرَى كَفَرِ سِخِ
إِلَّا مَقَامًا قَمْتُمَا لَنْ يَقْبِلَا تَصَرُّفَ الدَّهْرِ وَلَا حُكْمَ الْبِلَى

خلافة عمر بن الخطاب

مضى أبو بكر، وولَّاهَا عمْرُ
ما مال حائطُ الهدى حتى اعتدلُ
بزاهدٍ قام مكان الزاهدِ
قلَّده في نزعهِ الصلاةَ
بالمؤمنين نهض الأميرُ
يوماه في الصُّحْبَةِ والإمامةُ
الشمس لا تُخَلْفُ إلا بالقمرُ
والرُكنُ إن سَدَّ من الركن بدلُ
مُجاهدٍ نابٍ عن المجاهدِ
إن الوُلاةَ تَزِنُ الوُلاةَ
مضطلعٌ بأمرهم شَمِيرُ^١
كلاهما السَّرْحَةُ^٢ والغمامةُ

* * *

إسلامه للدين كان عِزًّا^٣
صُلِّيَ في الكعبةِ لِمَا آمَنَّا
وكان في دين الجدود صُلْبًا
رَنَحَ عِطْفَ المصطفى وهزًّا
وطافَ بالبيتِ الطريدِ آمِنًا
لا يَأْتِلي الدينَ الجديدَ ثَلْبًا

* * *

ثار إلى حيثُ النبيُّ مَوْعِدًا
ومُبرِّقًا بسيفه ومُرعِدًا

^١ المجرب الماضي في الأمور.

^٢ الشجرة العظيمة.

^٣ إشارة إلى قول الرسول: اللهم أيد الإسلام بعمر بن الخطاب.

^٤ أي صار المسلمون يطوفون بالبيت مجاهدين آمنين، وكانوا لا يستطيعون ذلك.

فجاءه مُوحِّدٌ مِنَ الزُّمُرِ
وَحَدَّتِ اللَّهَ ابْنَةُ الْخَطَابِ
فجاءها معتزمِ الشُّرَاسِ
فراعَه من الخِباءِ هينمَه^٥
فقال: ما أسمع؟ قالت: طه
قال، وعِرفانُ الصوابِ مَكْرَمَه:
وَأنستُ سَكِينَةَ الحواري
كَحَمَلٍ مُدَلِّلٍ صار الأَسَدُ
كَأَما سَقْتَه أَمَّ ليلَى^٦
فجاءَ نايِ النَّبِيِّ فاهتدى
انظرُ إلى الحِكمَةِ كيف تُنشدُ
لا تقضِ بالعبوسِ والطلاقه
كم لِينِ كَالصِّلِ^٧ يُخفي مَصْرَعَا
ما اتَّبَعِ الحَقُّ إِذا تَغَلَّبَا
والرأى مِثْلَ العَهدِ في الجليلِ

وقال جِيْ أَهْلَكَ فانظرُ يا عمر^٥
وأَمَنَ السَّعِيدُ في الأخطابِ^٦
وكان صليباً خَشِنَ المِراسِ^٧
وصوتٌ مستخفيةٌ مُرْنَمَه
فلم يصوِّبها ولا خطَّأها
فاطمُ هذا منطِقُ ما أكرَمَه!
من رجلٍ في صحوه سَوَّارٍ^٩
والصارمُ المسلولُ عاد كالمَسْدِ^{١٠}
أو أسمعَتُ قيساً^{١٢} حديثٌ ليلَى
وكبَّرَ الهادي وهلَّ المنتدى
والنفسِ بعد الغيِّ كيف تُرشدُ
من امرئٍ حتى ترى أخلاقه
وأخشنِ كالصخرِ يُتوي مَشرَعَا
كرجلٍ في باطلٍ تصلِّبَا
يرعاه مَنْ يرعاه في القليلِ

* * *

^٥ هو نُعَيْمُ بن عبد الله.

^٦ ابن عم عمر وختنه، والأخطاب: جمع خُطْبٍ، وهو الذي يخطب المرأة، والمراد السعيد بكونه خُطْبُ فاطمة أخت عمر.

^٧ المِراس: المأخذ والمعالجة.

^٨ الصوت الخفيُّ.

^٩ ذو الحدة والشدة.

^{١٠} جبل من ليف.

^{١١} كنية الخمر.

^{١٢} مجنون بني عامر.

^{١٣} الثعبان الخبيث.

إِنَّ الَّذِي رَشَّحَ لِلْمُلْكِ عُمَرَ
كَفَى بِصَحْبَةِ النَّبِيِّ مَعْلَمًا
مَنْ صَحِبَ النُّجْمَ تَعَالَى وَانْفَرَدَ
عِلْمٌ عَلَيْهِ مِنْ بَيَانٍ وَخُلِقَ
عَابُوهُ بِالشَّدَةِ وَهِيَ حُسْنُ
مَيْسَّرٍ فِي صُلْبٍ وَالِدِيهِ
بِالْعَدْلِ وَالدَّرَّةِ طَارَ بِالْعَرَبِ
أَيَّدَهُ بِالْعِلْمِ فِي خَيْرِ الْعُمَرِ
وَبِالنَّبِيِّ مَرشِدًا مَعْلَمًا
وَمَنْ دَنَا مِنْ سَاحَةِ الْبَحْرِ وَرَدَّ
ثَلَاثَةٌ مَنْ زَنَّ لِلْمُلْكِ خَلْقُ
فِي رَجُلٍ لِلْحَقِّ مِنْهُ حَصْنُ
لِتُفْتَحَ الدُّنْيَا عَلَى يَدَيْهِ
وَسَارَ فِي الْجَوِّ بِهِمْ وَفِي السَّرْبِ^{١٤}

* * *

فَلَمْ يَزَلْ دِعَامَةَ الْإِسْلَامِ
سَمًّا جَوَادًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
مَجَاهِدًا بَبِيضِهِ وَسُمِرَهُ
وَعَنْبَرَ الْعُبَادِ فِي الْجَوَامِعِ
وَقَاضِيًا كَالذِّكْرِ الْيَمَانِيِّ
حَتَّى تَلَقَّى الْحِظَّ أَسْنَى أَكْبَرَا
جِبَاءً^{١٧} مَنْ قَاسَ الصَّنِيعَ وَقَدَّرَ
فَلَيْسَ يَدْرِي الْمُسْلِمُونَ سَيِّدَا
مَنْ يَلْقَاهُ فِي طِمْرِهِ^{١٨} يُبْلِقُ
وُلَاتَهُ فِي مَلِكِهِمْ رُهْبَانُ
خَلِيفَةَ يَعْصُ فِي الْإِعْتَامِ^{١٩}
وَهَامَةَ الصَّحَابَةِ الْأَعْلَامِ
نَدْبًا^{١٥} عَنِ الْحَقُوقِ غَيْرَ لَاهِ
وَشُهْبِهِ وَدُهْمِهِ وَحُمْرِهِ^{١٦}
وَسَمَرَ الزَّهَادِ فِي الصَّوَامِعِ
لَمْ يَأْتِهِ فِي سَنَةِ خَصْمَانِ
أُمَّ الصَّفُوفِ وَتَرَقَّى الْمِنْبِرَا
إِنَّ الْجَزَاءَ بِأَوَانَ وَقَدَّرَ
أَبْرَكَ وَجْهًا مِنْهُ أَوْ أَنْدَى يَدَا
رَكَنَ الْحَقُوقِ حَائِطَ الْأَخْلَاقِ
وَالْفَلْكَ حَيْثُ سَاقَهَا الرُّبَّانُ
وَيَطْبِخُ الطَّعَامَ لِلْأَيْتَامِ

^{١٤} الطريق في الأرض.

^{١٥} الشهم المنتدب لعظام الأمور.

^{١٦} أي يجمع خيله ودوابه.

^{١٧} العطاء.

^{١٨} الثوب البالي.

^{١٩} الظلام.

مَنْ ذَا قَضَى لِسُوقَةٍ عَلَى مَلِكٍ؟^{٢٠}
 وَالْجَزْلُ مِنْ هِبَاتِهِ الْكِبَارِ
 الْأَرْضُ مِنْ أَيَّامِهِ فِي مَوْكِبِ
 وَشَرَّقَ الْقَنَا بِهِ وَغَرِبَا
 بُورِكَ فِي الْبَحْرِ وَفِي السَّحَابِ
 مِنْ كُلِّ غَابٍ طَلَعَتْ وَخَدِرِ
 وَهُمْ كَأَمْسِ حُمُسٍ^{٢١} مُزْدُ الْهِمَمِ
 تَحَرَّمَتْ بِعَدْلِهِمْ صُلْبَانُهُ
 كَلْهُمُو كِسْرَى أَنْوَشِرَوَانُ
 تَقْلِدُوا الْحَقَّ وَسُرِّبَلُوا الْكِرْمِ
 بِجَانِبَيْهِ يَعْزُضُ النَّامُوسَا
 وَوَصَلُوا الْكُوفَةَ بِالْفُسْطَاطِ
 مَوْكَلُ الْعَيْونِ بِالْقَوَادِ
 وَيُنْفِذُ الْكُتُبَ وَيَأْخُذُ الْعُدَدَ
 وَلِلْجُدودِ كُلُّهَا حُدُودُ
 نَحْوَ السَّمَاءِ اسْتَقْبَلَ الْبَشِيرَا
 وَأَبَ بِالْإِيوَانِ وَالْخَزَائِنِ
 وَالْقُدْسُ فِيمَا بَدَلَتْ وَنَاصِرَهُ
 إِذَا الْفُتُوحُ أَصْبَحَتْ هَبَاءَ
 مَا بَيْنَ أَعْلَى النِّيلِ وَالسَّلَامِ
 خَيْرَ النَّبَاتِ وَعُيُونِ الْمَاءِ
 وَإِنْ مَضَى الدَّهْرُ عَلَيْهِمْ وَضُرِبَ
 وَلَا يَدَ الْفَارُوقِ وَالْإِحْسَانَا

طَرِيقُهُ فِي الْعَدْلِ قَطُّ مَا سُلِكَ
 فَتُوحُهُ لِلْحَقِّ فَضْلُ الْبَارِي
 إِسْكَندَرُ الْخَيْلِ وَإِنْ لَمْ يَرْكَبِ
 أَقَامَ فِي مَرْكَزِهِ بِيَثْرِبَا
 ثَوَى وَسَاقِ نَجَبِ الصَّحَابِ
 بَقِيَّةً مِنْ أَحَدٍ وَبَدْرِ
 مَا مَرُورُ الدَّهْرِ مُسَوِّدَ اللَّمَمِ
 «بِالْقُدْسِ» جِيَشَقُّ دُونَهُ رُهْبَانُهُ
 وَجَحْفَلُ تَحْتَهُمُ الْإِيوَانُ
 وَفَيْلِقُ عَلَى جَوَانِبِ الْهَرَمِ
 لَوْ هَبَّ فَرَعُونَ لَخَالَ مُوسَى
 تَعَهَّدُوا الْفَتْحَ بِالْإِخْتِطَاطِ
 وَرَاءَهُمْ مُسَهَّدُ الْفُؤَادِ
 يَبْعَثُ بِالزَّادِ وَيُرْسِلُ الْمَدَدَ
 مُبَارَكٌ عَلَى الْمَدَى مَجْدُودُ
 إِذَا دَعَا بِوَجْهِهِ مُشِيرَا
 حَتَّى جَلَا كِسْرَى عَنِ الْمَدَائِنِ
 وَشَاطِرْتُهُ مَلِكُهَا الْقِيَاصِرَهُ
 فَتَحْ يُرِي الْحَوَادِثَ الْإِبَاءِ
 أَهْدَى عَلَى الدَّهْرِ إِلَى الْإِسْلَامِ
 أَرْضُ أَصَابَتْ مِنْ نَدَى السَّمَاءِ
 وَعَالَمٌ بَاقٍ عَلَى عَهْدِ الْعَرَبِ
 مَا ضَيَّعَ الدِّينَ وَلَا اللِّسَانَا

^{٢٠} إشارة إلى حديث جبلة بن الأيهم الذي لطم سوقة فاقتصص له عمر منه.

^{٢١} شبان أشداء لم تشب لهم همم.

عُمَرُ وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ

والله ما أدري ولا تدري الزُّمَرُ ما كان بين ابنِ الوليدِ وعُمَرُ^١
سيفُ الإلهِ سَلَّهُ النَّبِيُّ وَهَزَّهُ وَلِيُّهُ الْحَبِيُّ

^١ ابن الوليد: هو خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، أسلم سنة سبع للهجرة، وهو أحد الذين انتهى إليهم الشرف في الجاهلية من قريش. كانت إليه القبة والأعنة؛ فأما القبة فإنهم كانوا يضربونها ثم يجمعون إليها ما يجهزون به الجيش. وأما الأعنة فإنهم كانوا على خيل قريش في الحرب، كان أحد الأبطال الذين حاربوا أهل الردة. اشترك في فتح العراق وفي فتوح الشام، كان قائداً عاماً للجيوش الإسلامية في الشام، في أواخر خلافة أبي بكر الصديق، فبينما كان المسلمون في ذلك اليوم المشهود — يوم اليرموك — في أشد حالات الحرب، واشتداد الطعن والضرب جاء البريد من المدينة ينعي أبا بكر ويُخبر باستخلاف عمر بن الخطاب، ومعه أمر بعزل خالد بن الوليد وتعيين أبي عبيدة بن الجراح أميراً عاماً للجيش مكانه. وفي رواية أخرى أن البريد جاءهم وهم على حصار دمشق، وروى الطبري أن أبا عبيدة كتم عن خالد خبر عزله ريثما فتح دمشق وكتب لأهلها عهداً فأمضاه له، وحضر خالد بن الوليد بعد إمارته هذه معظم فتوح الشام متطوعاً، وكان المسلمون يستمدون رأيه في الحروب ويقدمونه على أمرائهم ساعة الحاجة، وكان أبو عبيدة يوليه الجيوش للفتح، فلما فتح في إمارة أبي عبيدة قنسرين التابعة لولاية حلب وانتهى الخبر بذلك إلى عمر قال: أمر خالد نفسه، يرحم الله أبا بكر، هو كان أعلم بالرجال مني.

أما سبب عزله فأمران؛ الأمر الأول: ما كان في نفس عمر بن الخطاب عليه منذ قتل مالك بن نويرة في حرب الردة؛ كان مالك بن نويرة رجلاً متحيراً يقدم للردة قدماً ويؤخر أخرى، قدم بالصدقات على أبي بكر رؤساء تميم كلهم كالزبرقان وصفوان بن صفوان، ووكيع بن مالك وغيرهم، إلا مالك بن نويرة بقي متردداً، فقصده خالد بن الوليد البطاح وبث السرايا وأمرهم بداعية الإسلام، وأن يأتيه بكل من لم

أُعْمِدَ لَا كَلًّا^٢ وَلَا مُقْصِرًا
تَوَجَّعَتْ لِعَزْلِهِ الْعُقَابُ^٣
ضَغِينَةً^٤ لَمْ تَدْعِ الْإِمَامَا
وَزَلَّةَ الْكَبِيرِ أَكْبَرَ الزَّلَلِ
خَافَ الْإِمَامُ أَنْ يَكُونَ فِتْنَهُ
كَمْ هَاضَتْ الْمَمَالِكُ الْعِظَامَا
وَكَمْ مَرَجَّى السَّبْقِ مَاتَ بِالْكَدْمِ
أُعِيدُ مِنْ مَضَلَّةِ الْحَقْدِ عُمَرُ
لَعَلَّهُ أَبْصَرَ وَجْهَ مَنْفَعَةٍ

فِي حَرْبِ كِسْرَى وَقِتَالِ قَيْصَرَ
وَحَلَّ بِالْمَبْرَأِ الْعِقَابِ
حَتَّى رَمَى فِي يَدِهَا الرِّمَامَا
وَإِنْ أُحِيطَ بِالطَّلَاءِ وَالْعِلَلِ
سِيَاسَةً عَالِيَةً وَفِطْنَهُ
مَخَافَةً أَنْ يَقْطَعُوا النِّظَامَا
قَدْ وَقَفَ النَّاسُ لَهُ دُونَ الْأَمْدِ
مِثْلُ الْإِمَامِ بِالْمَرَاشِدِ ائْتَمَرُوا
أَوْ خَافَ ضُرًّا فَرَأَى أَنْ يَدْفَعَهُ

يُجِبُ، وَكَانَ قَدْ أَوْصَاهُمْ أَبُو بَكْرٍ «أَنْ يُؤَدُّنَا إِذَا نَزَلُوا مِنْزَلًا فَإِنَّ أَدْنَ الْقَوْمِ فَكَفُّوا عَنْهُمْ، وَإِنْ لَمْ يُؤَدُّنَا فَاقْتُلُوا وَانْهَبُوا، وَإِنْ أَجَابَكُمْ إِلَى دَاعِيَةِ الْإِسْلَامِ فَسَائِلُوهُمْ عَنِ الزَّكَاةِ، فَإِنْ أَقْبَلُوا فَاقْبَلُوا مِنْهُمْ وَإِنْ أَبَوْا فَقَاتِلُوهُمْ»، فَكَانَ بَيْنَ الَّذِينَ جَاءَتْ بِهِمُ الْخَيْلُ مَالِكُ بْنُ نُوَيْرَةَ فِي نَفَرٍ مِنْ ثَعْلَبَةَ بْنِ يَرْبُوعٍ، فَأَمَرَ بِهِمْ خَالِدٌ فَحَبَسُوا فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ، ثُمَّ أَمَرَ مَنَادِيًّا فَنَادَى: دَافِئُوا أَسْرَاكُمُ، وَهِيَ فِي لُغَةِ كِنَانَةَ الْقَتْلِ، فَظَنَّ الْقَوْمُ أَنَّهُ أَرَادَ الْقَتْلَ — وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الدَّفْعَ — فَفَقَاتَلُوهُمْ، وَقُتِلَ مَعَهُمْ مَالِكُ بْنُ نُوَيْرَةَ، وَقَتْلُهُ ضَرَارُ بْنُ الْأَزْوَورِ، وَتَزَوَّجَ خَالِدٌ أُمَّ تَمِيمِ امْرَأَةَ مَالِكِ، فَلَمَّا انْتَهَى الْأَمْرُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَعَمَرَ رَغَبَ عَمْرٍ إِلَى أَبِي بَكْرٍ ثُمَّ أَلْحَ أَنْ يَسْتَدْعِيَ خَالِدًا وَيَقْتَصَّ مِنْهُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا عَمْرُ تَأَوَّلَ خَالِدٌ فَأَخْطَأَ، فَارْفَعْ لِسَانَكَ عَنْ خَالِدٍ فَإِنِّي لَا أَشِيمُ سِيفًا سَلَّهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ، فَلَمَّا رَجَعَ خَالِدٌ وَدَخَلَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَأَخْبَرَهُ بِجَلِيَّةِ الْخَبْرِ وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ قَبْلَ عِذْرِهِ. وَلَكِنْ عَمَرَ أَهَانَهُ وَأَسْمَعَهُ كَلَامًا أَلِيمًا.

الأمر الثاني — وهو الأهم — إقبال جند المسلمين على خالد بن الوليد، وحبهم له، واستماتتهم بين يديه في كل مشاهدته في العراق والشام؛ لشجاعته، وحزمه، وتوفيقه في الحروب، وانتصاره على الأعداء. عرف هذا عمر بن الخطاب فوقع في نفسه شيء منه، وخشي من إقبال الناس عليه، عرف أن في نفس خالد من جهته ما في نفسه من جهة خالد، منذ قرَّعه ذلك التقرير الشديد عقب حادث مالك بن نويرة، فبادر إلى عزله قبل أن يصل خبر توليه منصب الخلافة إلى المسلمين، وخالد أمير على جيش عظيم منهم، وقد جهر عمر بهذه الحقيقة، فقد روى أنه استدعاه بعد عزله إلى المدينة، فعاتبه خالد، فقال له عمر: ما عزلتك لريبة فيك ولكن افتتن بك الناس، فخفت أن تفتتن بالناس.

^٢ الكَلُّ من السيوف: الذي لا يقطع.

^٣ العقاب: قيل الراية، وقيل العلم الضخم، وقيل الحرب، وكلُّ يصلح أن يكون مرادًا في هذا المقام.

^٤ الضغينة: الحفيظة أو الحقد.

فَالسَيْفُ لَا تَأْمَنُهُ أَنْ يَنْقَلِبُ كَمْ غَلَبَ الْحَقُّ بِهِ وَكَمْ غُلِبَ
فِي طَبْعِهِ الطَّيْرَةَ وَالشَّرُورُ وَرَبُّهُ يَوْمًا بِهِ مَغْرُورُ
وَكَيفَ عَدْرَ ابْنِ الْوَلِيدِ كَيْفَا اللَّهُ أَوْفَى وَأَبْرُ سَيْفَا

* * *

عَجِبْتُ مِمَّنْ مَلَكَ الزَّمَانَا وَدَانَ بَعْدَ فَارِسِ الرُّومَانَا
وَمَنْ قَنَاهُ كُلَّ يَوْمٍ فِي ظَفَرُ وَخَيْلُهُ مِنْ سَفَرٍ إِلَى سَفَرُ
تَتَكَلُّ الطَّيْرُ عَلَى بَنُودِهِ وَيَنْزِلُ النَّصْرُ عَلَى جُنُودِهِ
تَهَيَّبَ الْبَحْرَ وَخَافَ حَرْبَهُ وَحَرَّمَ الْمُجَاهِدِينَ قُرْبَهُ
ظَلَّ الْوَلَاةُ يَبْسُطُونَ الرَّاحَا فَلَا يُلَبِّي لَهُمُوا اقْتِرَاحَا
كَمْ حَسَنُوا النَّفْعَ وَقَبَّحَ الضَّرْرَ خَوْفًا عَلَى جُنُودِهِ مِنَ الْغَرَرِ °
وَقَالَ، لَمْ يَأْذَنْ وَلَمْ يُسَلِّمْ: لَا أَشْتَرِي الرُّومَ بِنَفْسِ مُسْلِمٍ
كَانَ الْإِمَامُ وَهُوَ لِلْعَدْلِ عِلْمُ لَمْ يُنْصَفِ الرُّومَ وَلِلْبَحْرِ ظَلْمُ
كَمْ جَرَّ نَفْعَ الْمُسْلِمِينَ الرُّومُ وَالْبَحْرُ عَزٌّ أَبَدًا مَرُومُ
يَنْهَضُ بِالْمَلِكِ الْعَظِيمِ فَاتِحُهُ لِأَنَّهُ مِنَ الثَّرَى مَفَاتِحُهُ
فَيُرَوِّزُ مِنْهُ يَبْرَأُ النَّصَارَى وَمِثْلُهُ إِلَى الْجَحِيمِ صَارَا
لَا دِينَ لِلْبَاغِي وَإِنْ تَدَيَّنَا كَفَى بِقَتْلِ النَّفْسِ ظُلْمًا بَيْنَا

° الغرر: الخطر.

مقتل عمر

شَكَاَ إِلَى الْخَلِيفَةِ ابْنَ شُعْبَةَ^١ لِكُلْفٍ يَزْعُمُهُنَّ صَعْبَهُ
فَلَمْ يَجِدْهُ عُمَرَ مَظْلُومًا وَلَا رَأَى سَيِّدَهُ مَلُومًا
وَكَانَ بِالصَّنْعَةِ ذَا إِمَامٍ وَحَسْبُهُ شَهَادَةُ الْإِمَامِ
إِنَّ يُذَكَّرَ الرُّومَ إِلَيْهِمْ يُنْسَبُ وَهُوَ مِنَ الْفَرَسِ وَفِي الرُّومِ سُبْيِ
إِنَّ انْكِسَارَ الْفُرْسِ شَرٌّ كَسْرَهُ صَيْرَ وَجْدَانَ الْغَلَامِ حَسْرَهُ
فَبَاتَ لِلْفَارُوقِ يُضْمِرُ الْإِحْنَ بِمَا أَصَابَ قَوْمَهُ مِنَ الْمِحَنِ

^١ ابن شعبة: هو أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة، قاتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، هو فارسي الأصل من نهاوند، كان قد أسره الروم، ثم أسره منهم المسلمون، ولما قدم سبي نهاوند صار أبو لؤلؤة لا يلقى منهم صغيراً إلا مسح رأسه وبكى وقال: أكل عمر كبدي!

وقد ذكر المؤرخون عن مقتل عمر أن أبا لؤلؤة هذا شكى إليه ارتفاع الخراج الذي ضربه عليه مولاه المغيرة وطلب إليه تخفيضه، فمن قائل إنه وعده خيراً، وعزم أن يخاطب المغيرة في تخفيف الخراج عنه، ومن قائل إنه سئل: كم خراجك؟ فقال: درهمان في كل يوم. قال: وما صناعتك؟ قال: نحاس، نقاش، حداد. قال: فما أرى خراجك بكثير على ما تصنع من الأعمال، فتوعدده الغلام وانصرف، قال عمر: توعدني العبد. ولما أضر أبو لؤلؤة قتل عمر اصطنع له خنجراً له رأسان وشحذه وسمه ثم أتى به إلى الهرمزان، فقال: كيف ترى هذا؟ قال: إنك لا تضرب به أحداً إلا قتله، فراح أبو لؤلؤة يراقب عمر ويترصده، وبينما هو في صلاة الغداة قام وراه، فلما كبر طعنه في كتفه، ثم في خاصرته، وقيل ضربه ست ضربات فسقط عمر، وقام المصلون يحاولون القبض على أبي لؤلؤة فأخذ يطعنهم عدة طعنات أصابت مقاتل الكثير منهم.

دُولُ الْعَرَبِ وَعُظْمَاءُ الْإِسْلَامِ

وَالثَّارُ بِالْأَهْلِ الْكِرَامِ وَالْوَطَنُ
لَوْ لَمْ تَلِدْهُ الْأَرْضُ شَرَّ صِلِّ
أَنْسَابِ مَلَأَى مِنْ نَقِيعِ سُمَّهِ
أَغْمَدَهَا فِي هَيْكَلِ الْجَلَالِ
فَرَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ يَا عُمَرُ
قَضِيَّةٌ قَدْ شَعَلَتْ أَهْلَ الْفِطَنِ
مَا أَقْتَحَمَ الْمَكْبَرِ الْمُصَلِّي
حَدِيدَةٌ قَدْ لَفَّهَا بِكُفِّهِ
وَشَامَهَا فِي كَرَمِ الْخِلَالِ
غَامِرَةٌ كَعَدْلِكَ الَّذِي غَمَرُ

خِلافة عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ

مَرَّتْ بِهِ ثَلَاثَةٌ لَمْ يُدْفَنِ
وَيَشْفُقُ النَّعْشُ وَيَأْبَى حَامِلُهُ
وَنَوَزَعَتْ دَارُ الْبِقَاءِ قَادِمًا
عَلَى عُلُوِّ شَأْنِهِ وَالسَّنُّ
وَأَمْسِ كَانَ نَوْرَهَا خَلِيفَهُ
وَرَفَلَ الْمُصْحَفُ فِي دِمَائِهِ
خَلَيْنِ فِي الْحَيَاةِ وَالْمَمَاتِ
وَرُقِيتُ بِالسَّارِقِينَ الدَّارُ
مَنْ رَائِحِ يَلْطُمُهُ وَغَادِ
عِقَارِبُ وَالنَّعْلُ غَيْرُ حَاضِرِهِ
شَقَاوَةٌ لِلْبَلَدِ السَّعِيدِ
وَقَلَّ مَنْ جَاءَ لِخَيْرِ الْمَلَّةِ

مَنْ لَقْتِيلٍ بِالسَّفَا^١ مُكْفَنٍ
تَعْرِضُهُ نَوَادِبًا أَرَامُلُهُ
قَدْ حِيلَ بَيْنَ الْأَرْضِ وَابْنِ آدَمَا
مُتَّلَّ بِالْمَهَاجِرِ^٢ الْمُثَنِّي
تَنْبُو الْعَيُونَ الْيَوْمَ عَنْهُ جِيفُهُ
قَدْ عُرِيَ الْمِنْبَرُ مِنْ أَسْمَائِهِ
تَلَازَمَا تَلَازَمَ اللَّوْمَاتِ^٣
كَنَزٌ عَلَيْهِ نُقِبَ الْجِدَارُ
وَمَلِكٌ بِمَدْرَجِ الْأَوْغَادِ
مَنْ كُلُّ رُسْتَاقٍ^٤ وَكُلُّ حَاضِرِهِ
أَتَوْا مِنَ السَّوَادِ وَالصَّعِيدِ
لِإِحْنَةٍ أَوْ غَيْبَةٍ أَوْ سَلَّةٍ^٥

^١ الغبار.

^٢ عثمان رضي الله عنه.

^٣ الأتراب.

^٤ الرستاق: القرية، والحاضرة: المدينة.

^٥ السرقة.

وخيضَ في القضية السخيفة^٦ وبخلتْ بالنُّصرة الأَنْصارُ
 ومُلئتْ دارُ الرِّسولِ خيفةً وقَرَّتْ الفِتيانُ في الحِجالِ
 وأخَّرتْ نَجَدَتَها الأَمْصارُ وتعَبَ الوصيُّ^٧ بالسِّفارةِ
 وفَرَّتْ الشَّيخانُ بالأَجالِ وابنُ أبي بَكْرٍ^٩ مع الثُّورِ
 وانتدبَ السِّبْطانَ للخِفارةِ^٨ يا ليت شعري كيف ولَّاهِ علي!
 بغي الحِوارِيِّ على الحِوارِي ليت الإمامَ المَرْتَضَى لم يَفْعَلِ
 كيف يُولَّى مَصْرَ مَخضوبُ اليَدِ من راشِدٍ مُوفِّقٍ مُؤيِّدٍ؟
 لا تَبْرأَ العَقْرُبُ من ذَنْبِ الذَّنْبِ الرُّأسِ في الشَّعْبِ^{١٠} سِوَاءَ وَالذَّنْبِ

* * *

إنَّ مُحَمَّدًا على الشَّيخِ افْتَرَى وجرًّا النَّاسَ عليه واجْتَرَى^{١١}
 آذاه في حُجْرتهِ مَخذولًا ممتنعًا قِيادَهُ مَبذولًا
 عابِنَ فيها المَوتَ أربَعينا يَنْتَظِرُ النَّاعي أو المُعيَنا^{١٢}
 وشَرُّ ما هَبَّ عليه الغافلُ إنَّ حَكمتُ في العِليَّةِ الأَسافلُ
 ابنُ ثمانينَ فَتَيَّ النِّيَّةُ مُوطَّنُ النَّفْسِ على المَنيَّةِ
 لم يُعْطِهِم، حيثُ النَّفوسُ تَجزَعُ خِلافَةَ اللهِ التي لا تُنزَعُ
 أليستِ النَّفْسُ تَموتُ مَرَّةً فخذُ عليها أن تَموتَ حُرَّةً

* * *

فإنَّ تَسَلَّ ماذا أتى عُثْمانُ؟ مما يَرُدُّ الدِّينَ والإيمانَ
 تَجِدُ دَعَاوَى القومِ لَفَقوها وَسَلَّعا بِالدينِ نَفَقوها

^٦ يفهم القارئ — إن شاء — سَخف القضية العثمانية من الأبيات الآتية.

^٧ علي رضي الله عنه، وكان السفير بين عثمان والتائرين.

^٨ هما الحسن والحسين، وكانا في خفارة عثمان.

^٩ كان محمد بن أبي بكر يدبر ويكيد مع الثور.

^{١٠} الفتنة.

^{١١} هو كما تقدم محمد بن أبي بكر، وكان شديدًا على عثمان محرصًا عليه.

^{١٢} من يُنقذه.

زَرَوْا عَلَى الْإِمَامِ مَا لَا يُزْرَى
وَاسْتَنْكَرُوا عُلوَّهُ بِالذُّورِ
وَقَالَ قَوْمٌ: خَالَفَ الْأَتْرَابَا
وَكَرَهُوا التَّمْصِيرَ وَالتَّمْدِينَا
وَيَحْتَهُمُوا! مَا لَهُمْ وَمَا لَهُ؟
مَالٌ كَمَا شَاءَ الْعَفَافُ وَالْكَرَمُ
وَالزَّهْدُ حَالٌ لِلْقُلُوبِ وَالنُّهَى
وَهَذِهِ الدُّنْيَا يَدُ الْعَظِيمِ
أَسْكَنَهَا الْعَقْلَ فَكَانَتْ أَشْرَفَا
أَحَلَّ مِنْهَا مَا صَفَا مِشَارِعَا
وَسَاقَهَا لِلْأَنْبِيَاءِ تَرْسُفُ
وَأَيْنَ مِنْ شَأْنَيْهِمَا عُثْمَانُ؟
اسْتَقْبَحُوا إِحْسَانَهُ الْعَمِيمَا
وَأَنْ يَنَاطَ الْقُطْرُ وَالْوَلَايَةَ
وَرَدَّدَتْ قَوْلَهُمُ الْغَوْغَاءُ
وَاتَّخَذَ الْمَشَاغِبُونَ أَلَهُ
رَمَاهُمُ بَعْضُ الشُّيُوخِ مِنْ حَسَدُ

وَأَرْكَبُوهُ الْحَسَنَاتِ وَزَرَا
عَنْ دَارَةِ الثَّلَاثَةِ الْبَدُورِ^{١٣}
وَحَالَفَ الثَّرَاءَ وَالْإِتْرَابَا^{١٤}
وَعَمُوا الدُّنْيَا تُعَفِّي الدُّنْيَا
طَابَ وَطَيَّبَ الْحَلَالُ مَالَهُ
زَكَ كَهْدِي الْبَيْتِ أَوْ حَلِي الْحَرَمِ
مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَلَا نَهَى
وَسِرُّهُ فِي مُلْكِهِ النَّظِيمِ
مَنْ كُلُّ زَاهٍ فِي السَّمَاءِ أَشْرَفَا
وَحَرَّمَ الْآيَاتِ وَالْمَصَارِعَا
هَذَا سَلِيمَانُ وَهَذَا يَوْسُفُ
عَلَى الَّذِي حَوَّلَهُ الرَّحْمَنُ
أَنْ يَشْمَلَ الْقَرِيبَ وَالْحَمِيمَا
بِمَنْ لَهُ الصُّهْرُ أَوْ الْوَلَايَةَ
كَمَا تُعِيدُ الْقَوْلَ بَبْغَاءُ
وَقِيلَ عُثْمَانُ يَخُصُّ أَلَهُ
وَوَقَعُوا فِي الرَّأْسِ طَعْنًا وَالْجَسَدُ

يَا حَبِذَا وَلَا تُهَ الْأَخْيَارُ
مَنْ حَسَنَ السِّيْرَةَ بِالْأَمْسِ أَمْرُ
كَهْلٍ عَلَى الْأَمْرِ قَوِيَّ الْكَاهِلِ
أَوْ ذِي شَبَابٍ تُرْتَضَى حُكُومَتُهُ

وَرَأْيُهُ فِيهِمْ وَالْإِخْتِيَارُ
تَحْتَ النَّبِيِّ وَالْعَتِيقِ وَعُمَرُ^{١٥}
بَيْنَ الْحَوَارِيِّ وَبَيْنَ الْعَاهِلِ
لَا فَضْلَهُ خَافٍ وَلَا أَرُومَتُهُ^{١٦}

^{١٣} هم متقدموه من الخلفاء.

^{١٤} الإيسار.

^{١٥} أي جلُّهم كانوا عمالاً لرسول الله وللعمرين.

^{١٦} أصله ومَحْتَدُهُ.

مُقَدِّمٌ لِلْفَضْلِ وَالْأَرَابِهِ
يُضَافُ مَرْفُوعًا إِلَى الْإِمَامِ
فَتِيَانُ مُلْكٍ وَبَنُو خَلَاْفَهُ
قَدْ فَتَحُوا قُبُرْسَ لِلْإِمَامِ
فَأَصْبَحَ الْقَاصِي مِنَ الْبِرِّ اقْتَرَبَ
وَخَفَقَتْ كِتَابُ الْإِسْلَامِ
فَخَرُّ لَذِي النُّورَيْنِ أَيُّ فِخْرٍ
يَا طَالَمَا بَالِغَ فِي الْخَطَابِ
سَبْحَانَ مَنْ فَرَّقَ فِي الْأَثْمَةِ
لَهُ الْكَمَالُ وَحَدَهُ وَالْمُلْكُ

وَلَيْسَ لِلصَّهْرِ وَلَا الْقِرَابِهِ
إِضَافَةٌ الْبَدْرِ إِلَى التَّمَامِ
قَدْ صَدَقُوا الْأَبْوَةَ الْخَلَاْفَهُ
بِالسُّفْنِ الْمُرْجَاةِ كَالْغَمَامِ
وَصَارَ بَحْرُ الرُّومِ لُجَّةَ الْعَرَبِ
فِي الْبَحْرِ أَعْلَامًا عَلَى أَعْلَامِ
وَهَمَّةٌ تَذَكَّرُ لَابْنَ صَخْرٍ^{١٧}
فَلَمْ يَنْلُهَا مِنْ فَتَى الْخَطَابِ
مَا جَلَّ مِنْ مَنَقَبَةٍ وَهَمَّةٌ
وَهُوَ الدَّوَامُ وَسِوَاهُ هُنْكَ

^{١٧} هو معاوية رضي الله عنه، أول من أركب العرب البحر.

الخصمان

يا فِطْنًا بِسِيرِ الكِبَارِ
وطالبَ الجوهرِ في التراجِمِ
جِئْتُكَ بالبرجاسِ والمِرْيَخِ^١
قَرَنْتُ خَيْرَهَا تُقَى وَعِلْمًا^٢
بل قَرَنْتُ بَيْنَهُمَا أَيَدِي الغَيْرِ؛
أبو الشهابينِ وهل يَخْفَى القَمْرُ؟!^٣
أو قِيَمُ الدينِ ولا أَحَابِي
إِنْ ذُكِرَ الآبَاءُ جَاءَ بالقَمْرِ^٤
تَحَدَّرًا مُزْنَيْنِ مِنْ غَمَامِ
قُرْبَى عَلَى تَفَاوُتِ المَنَسُوبِ^٥

مُفْتَتِنًا بَغُرْرِ الأَخْبَارِ
مَلْتَمَسَ التُّبْرِ مِنَ المَنَاجِمِ
خَصْمِينَ بَيْنَ يَدَيِ التَّارِيخِ
بَخِيرَهَا سِياسَةً وَحِلْمًا^٦
وافترقا على التلاقي في السَّيْرِ
والتَّاقِبِ الرَّأْيِ اللُّعُوبِ بِالزُّمْرِ^٧
وَقِيَمِ الدُّنْيَا مِنَ الصَّحَابِ
جَدًّا تَمْنَاهُ العَتِيقَ وَعَمْرُ^٨
وَلَاقِيَا الدِّيْمَةَ فِي الأَعْمَامِ
كَالمُومِ وَالشَّهَدِ مِنَ اليَعْسُوبِ^٩

^١ البرجاس: المشتري؛ يعني بالبرجاس والمريخ عليًا ومعاوية.

^٢ عليًا.

^٣ معاوية.

^٤ يريد بالغير ما شجر بين عليٍّ ومعاوية.

^٥ علي، والشهابان: الحسن والحسين.

^٦ معاوية.

^٧ عبد مناف، وهو جدُّهما الذي يلتقيان فيه.

^٨ العتيق: أبو بكر.

^٩ الموم: الشمع، اليعسوب: أمير النحل.

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

حامي عرينِ الحق والجهاد
والقمرانِ نسختانِ منه^٢
ودينُهُ من بعده وشَرُّهُ
وفي الوغا وحين يرقى المنبراً
ويلتقي بحراهما أحياناً
وأقربِ الصحبِ بلا استثناءٍ
وأخشعِ العالمِ وهو سيده
وسُدَّةُ القضاءِ بابُ الإفتا
إذا الظلامُ مدَّ من رواقه
كم من شرّاعٍ دونِ عبْرِيهِ فَنِي
والفكرُ في هذا الطريقِ يحْفَى
وحاد بالناصرِ والوليِّ
وسهَّلَ الغابَ على مُعاويَةَ
يطلبه الله وكلُّ مسلمٍ

أما الإمام فالأغر الهادي
العُمرانِ يأخذانِ عنه^١
أصلُ النبي المجتَبَى وفرعُهُ
وصفحتاهُ مقبلاً ومدبراً
يدنوا إلى ينبوعه بيانا
الحجر الأول في البناء
وأزهّدُ الناسِ وفي الدنيا يدُهُ
وجامعُ الآياتِ وهي شتّى
والسَّهْدُ الأوي إلى أشواقه
بحرُ الهوى والقومُ رُكْبُ السُّفنِ
يا ليت شعري والأُمورُ تخفى
ما ساءَ هذا الناسِ من عَلِيٍّ
وغرَّ بالليثِ الذئبابُ العاويَةَ
قيل دم الشيخِ الضعيفِ المُسلمِ^٣

^١ العمران: أبو بكر وعمر.

^٢ القمران: الحسن والحسين.

^٣ عثمان.

ترك الإمام قاتلَ الإمامِ
 وقيل بل أدلَّ بالمكانه
 والزهو أحياناً من المعاني
 وقيل في سياسة الطباع
 لو صانع الإمام أو تأنى
 وقيل علم ما له انتهاء
 في ثقة بمن به لا يوثق
 ونبذ رأي الناصح المباحض^٥
 وقيل أخفى للثلاثة الحسد^٦
 لا بل هو المنازع التواق
 سما إليها بعيون الفضل
 من كان في منزله الرفيع
 وطالما استأخر غير فاحم
 يا جبلاً تأبى الجبال ما حمل
 أثار عثمان الذي شجاها
 قضية من دمه تبنيها
 ذلك فتق لم يكن بالبال
 وإن أم المؤمنين لامرأه
 أخرجها من كنفها وسنّها

أخلَّ بالهيبة للزمم
 ولو تصوّر الخشوع كأنه
 إن سال من معاطف الشجعان
 وفي المداراة، قصيرُ الباع
 ما بلغ الشامي ما تمنى^٤
 لم يجر فيه الرأي والدهاء
 ولا يدوم عهده والموثق
 في قُحم الأمر وفي المباحض^٦
 وكادت الجيفة تأكل الأسد
 طلبته الأعباء والأطواق
 وحنّت الحسنة تحت العضل^٨
 يدر مكان منبر الشفيع
 ولاذ بالحياء لم يزاحم
 ماذا رمت عليك ربة الجمل^٩
 أم غصة لم ينتزع شجاها
 هبت لها واستنفرت بنيتها^{١٠}
 كيد النساء موهن الجبال
 وإن تك الطاهرة المبرأة
 ما لم يزل طول المدى من ضغنها

^٤ الشامي: معاوية.

^٥ أمحضت له النصح إذا أخلصته.

^٦ القُحم: الأمور العظام الشاقة، والمباحض: المزالق لا تثبت عليها الأقدام.

^٧ الثلاثة: الصديق وعمر وعثمان.

^٨ العضل: حبس المرأة عن الزواج.

^٩ عائشة أم المؤمنين.

^{١٠} قضية من دمه؛ أي دم عثمان.

وشرُّ من عَدَاكَ من تقيهِ
 جهزها طلحةً والزُّبَيْرُ
 صاحبةُ الهادي وصاحباهُ
 يا ليت شعري هل تعدُّوا وبغوا^{١٢}
 جاءت إلى العراق بالبنينا
 فانصدعت طائفتين البصره
 أو زادة البيعة والذمام
 وانتهك الحي دماء الحي
 وجاء في الأسد أبو تراب^{١٤}
 يرجو لصدع المؤمنين رأبا
 وعجز الرأي وأعياء الحلم
 من كل يوم سافك الدماء
 تجرُّ ذات الطهر فيه عسكريا^{١٦}
 ظل الخطام من يد إلى يد^{١٨}
 مستلما توهى الغيوث دونه
 حتى أراد الله إمساك الدم
 وظفرت ألوية الإمام
 فردت الأم إلى مقرها

ومُلقي السلاح تلتقيه^{١١}
 ثلاثة فيهم هدَى وخير
 فكيف يمضون لما ياباه؟
 أم دم ذي النورين بالحق بغوا؟
 قاضين حق الأم محسنينا
 فريق خذل وفريق نصره
 وقادة الفتنة والذمام^{١٣}
 من أجل ميت غابر وحي
 على متون الضمر العراب^{١٥}
 وأمهم تدفعه وتأبى
 وخطبت بالمُرَهفات السلم
 تعوذ منه الأرض بالسماء
 وتذمر^{١٧} الخيل وتغري العسكري
 كالتاج للأصدي بعد الأصد
 وبالدماء أنهرا يقدونه
 في كرم لسيفه المقدم
 وألقت البصرة بالذمام
 مبالغا في نقلها وبرها

^{١١} أي شر من ظلمك من تلتقيه وأنت ملقي السلاح لا تشهره في وجهه ومن لا ترى بدًّا من تجنّب إيذائه.

^{١٢} يقول: إن عائشة وطلحة والزبير جاروا وظلموا بخروجهم على عليّ.

^{١٣} أي زمام الجمل الذي كانت تركبه عائشة.

^{١٤} في الأسد: جيش علي، وأبو تراب كنيته.

^{١٥} متون: ظهور، والضمر جمع ضامر، والضمر الهزال، وهو ممدوح في الخيل، والعراب الخيل الكرام الخالصة من الهجنة.

^{١٦} اسم الجمل الذي كانت تركبه عائشة.

^{١٧} تذمر الخيل: تحنّتها.

^{١٨} الخطام: خطام الجمل.

وظَلَّلتْ مَنْ حَلَّ أَرْضَ الْمَلْحَمَةِ من الْفَرِيقَيْنِ سَمَاءُ الْمَرْحَمَةِ
هَلْكَى بَكَى الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ وَالْحَرَمِ الْمَوْتُ دُونَ الْعَهْدِ غَايَةُ الْكِرَمِ

* * *

يا يوم صفين بمن قضاكا هل أنصف الجمعان إذ خضাকা
فيك انتهى بالفتنة التراقي واصطدم الشام بالعراق
ونفدت بقيّة من صحب تلقت الطعن صدر رخب
بنو الظبى، أبوة الأسنة أل الكتاب أولياء السنة
لقد وفى «بدر» لهم أهله وخننتهم مشيخة أجله^{١٩}
لو في بناء المجد ذلك الدم! بل عمدوا لما بنوا فهدموا
فيا مجالا قصر الأعنة ومد في اشتجارها الأسنة
ترجرت بالفتتين أرضه وضاق عنهم طولهُ وعرضهُ
ووقع الأنجاد بالأنجاد وخر «عمار» من النجاد^{٢٠}
ما كان ضرر نصراء^{٢١} البيعة لو صبروا على الوغى سويعة
بيننا بنودهم هي العوالي والنصر حول البيض والعوالي
غادرهم بسحره معاوية كأنهم أعجاز نخل خاوية
ألقى القنا وشرع المصاحفا ينشد بالله الخميس الزاحفا^{٢٢}
فلا تسل عن فشل العزائم ولم يزل طليعة الهزائم
انقطع النظم والانقياد وحكمت في الشكم الجياد
وافتيت في الرأي على الأعيان وهدد الإمام بالعصيان
ما كان في قبوله التحكيما على علو رأيه، حكيمما
لا يرفع المصحف كالدفوف والسلم لا تذكر في الصفوف

^{١٩} خانهم يوم صفين وهم شيوخ أجلّة، ووفى بدر لهم وهم شباب أهلة.

^{٢٠} هو عمار بن ياسر، وقد خرّ وهو يقاتل.

^{٢١} نصراء البيعة: أصحاب علي.

^{٢٢} الجيش الهاجم.

ورأيه في الأشعريِّ أعجبُ
 أين أبو موسى وأين عمُرو؟
 أمَّن دها قيصرَ والمقوقسا
 قام فردَّ الرجلين ونزل
 أبي عليًّا وارتضى معاوية
 يا زيد^{٢٥} كلُّ مُسْرَجٍ ومُلْجَمٍ
 أصاب قرنا لا تُرامُ شمسُه
 بالمرهفِ المسمومِ فيما قد ذُكِرُ
 يا سُؤْمَ سيفِ قطعِ الصلاةِ
 ولم يكُ ابنُ ملجمٍ صُعلوكا
 وضاريا في دمه العُدوانُ
 له فيه قدرٌ مُحجَّبُ^{٢٣}
 لا يستوي مجرَّبٌ وغمُرُ^{٢٤}
 كَمَن على مصحفه تقوُّسا؟
 وقام عمرو فأقرَّ وعزل
 ونقض المِنبرُ عَقدَ الزاويةِ
 كيف علا عُرتك ابنُ ملجم^{٢٦}
 أعياء على الأقرانِ دهرًا لمسُه
 وكلُّ شيءٍ قَتَلَ، الماضي الذِّكْرُ
 واغترَّ ليلتِ الغابةِ المِصْلَتا^{٢٧}
 بل غاليا يقتجمُ الملوکا
 لم يَخْلُ من أمثاله أو انُ

^{٢٣} هو أبو موسى الأشعري.

^{٢٤} الغمر: غير المجرَّب.

^{٢٥} أي يا زيد الخيل.

^{٢٦} هو عبد الرحمن بن ملجم المرادي، كان من أهل مصر، وهو الذي قتل علي بن أبي طالب؛ فقد اجتمع ملجم هذا، والبرك بن عبد الله، وعمرو بن بكر التميمي في مكة مع آخرين من الخوارج سنة أربعين، وتحادثوا في أمر الناس وفيما هم فيه من الحروب والفتن والشحناء، فتعاهد الثلاثة على أن يكفوا الناس عليًّا، ومعاوية، وعمرو بن العاص، فقال ابن ملجم: أنا أكفيكم عليًّا، ثم أقسموا بالله ألا يرجع أحد منهم عن صاحبه الذي توجه إليه حتى يقتله أو يموت دونه، فأخذوا أسيافهم فغمسوها في السم وذهب كل إلى غرضه، ومضى ابن ملجم حتى أتى الكوفة فالتقى فيها بجماعة من تيم الرباب — قتل منهم عليُّ يوم النهر عشرة — وفيهم امرأة يقال لها قطام — قتل عليُّ أباه وأخاه يوم النهر أيضًا — بارعة في الجمال، فلما رآها أذهلته فخطبها، فقالت له: لا أتزوجك حتى تُشفييني، فقال وما يُشفيك؟ قالت: ثلاثة آلاف، وعبد، وقينة، وقالت: عليُّ، قال: هو لك مهرٌ، أما علي فلم أركِ ذكرته لي وأنت تريدينني! قالت: بل ألتمس غرته، فإن أصبت شفيت نفسك ونفسي ويهنتك العيش معي، وإن قتلت فما عند الله خير وأبقى، فقال لها: والله ما جئت هذا المصير إلا لذلك. ثم اختارت له مساعدًا من قومها واختار هو مساعد آخر، فلما كانت ليلة الجمعة ١٥ من رمضان ترصدوا له، حتى خرج يريد صلاة الصبح فضربه ابن ملجم في قرنه بالسيف وهو ينادي: «الحكم لله لا لك يا علي ولا لأصحابك.»

^{٢٧} الماضي في الأمور، واغترَّه: أتاه على غرَّة.

وقال قومٌ ذاك مُسْلِمٌ نَقِمٌ
قولٌ غداً عندَ النَّهْيِ مفروضاً
الرأيُ لِلأَمَةِ فِي الوُلاةِ
وقتلُكَ الْإِنْسَانَ غِيْلَةً شَنِعٌ
النفسُ لَهُ وَلِلنَّظَامِ
فكيفَ بِالْبَغِيِّ عَلَى عَلِيٍّ
حكومةَ الْقُرْآنِ فهوَ مُنتَقِمٌ
لو صحَّ راحَ الْعَالَمُونَ فُوَضِيَ
وليسَ لِلغِيْضِ وَالغُلَّةِ
الجبْنَ أَنْ تَقْتُلَ مَنْ لَا يَمْتَنِعُ
والدَّمُ إِحْدَى الْحَرَمِ ٢٨
الراشِدِ الْمُقَرَّبِ الْوَلِيِّ؟

* * *

ما لكَ وَالنَّاسَ أبا ترابٍ!
هم طردوا الْكَلِيمَ ٢٩ كلَّ مَطَرِدٍ
وَزِيْنَ الْعِجْلِ لَهُمْ لَمَّا نَهَبَ
وبابنِ مريمَ ٣٠ وشَوْأَ وَنَمُّوا
وأخرجوا مُحَمَّدًا مِنْ أَرْضِهِ
وغَيَّبوا الْمَسْوِيَّ الْفَارُوقَا ٣١
وذبحوا الشَّيْخَ ٣٢ عَلَى الْفُرْقَانِ
وهَبَّ مِنْهُمْ مَنْ لِحَقِّكَ اخْتَلَسَ
وأشْرَقوا الْحَسِينَ بِالدماءِ ٣٤
فاسمُ سَمَوِّ الزَّاهِدِ الْحَوَارِيِّ
إِنْ زَالَ مُلْكُ الْأَرْضِ عَنْكَ مِنْ مُلْكٍ
ليسَ الذَّنَابُ لَكَ بِالْأَتْرَابِ
وَأتَعَبُوا عَصَاهُ بِالْتَمَرِدِ
وافتتنوا بِالسَّامِرِيِّ وَالذَّهَبِ
واحتشدوا لصلبِهِ وَهَمُّوا
وسرحتُ ألسُنُهُمْ فِي عَرْضِهِ
وخيَّرَ شَمْسِيَهُمْ لَهُمْ شَرُوقًا
حتى بَكَى الذُّكْرُ ٣٣ بدمعِ قَانِ
وفَجَّعوكَ بِالصَّلَاةِ فِي الْغَلَسِ
ملوِّحًا بَيْنَ عَيُونِ الْمَاءِ
فِي دَرَجَاتِ الْقَرْبِ وَالجَوَارِ
يا طَوْلَ مُلْكٍ فِي السَّمَاءِ تَمَّ لَكَ!

٢٨ أي النفس لله وللشرائع يحكمان فيها.

٢٩ موسى عليه السلام.

٣٠ هو السيد المسيح.

٣١ هو عمر بن الخطاب.

٣٢ عثمان بن عفان.

٣٣ القرآن.

٣٤ هو الحسين بن علي، وقد قُتلَ ظمآن في كربلاء.

معاوية

ولم يَسُلَّ الشرقُ كابنِ هِنْدِ
السَّعْدُ كانَ أبداً حليْفُهُ
من سحره ففاز بالوصيِّ
وفي هوى الدولة جافى الوَسْناً
فانقلبت ملوكاً الرعاةُ
وانفجر التمصير والتمدينُ
والآلُ من سيادة لِرِقِّ
ورُبَّ جِلْمِ جمع الغوائلِ
بهيبة المُلْكِ وبالهِباتِ
وبذلت واديها الحياتُ
وصاحبُ الدينِ ومَن تلاه
وأخذهُ البيعةَ للغلامِ
وعاد مُلْكاً نَسَقُ الإمامةِ
ووقفت للدينِ في الأعنَّةِ
حبُّ البقاءِ وقلى الفناءِ
يُسْحَبُ من تَوْهَمِ الخلودِ
لا تدعُمُ على أبٍ ولا ابنِ
ولا يحطُّ نسبُ الليلِ القمُرُ

في الدهرِ لم تصنع قيونُ الهنْدِ
العبقريِّ الملكِ الخليفهُ
ما زال بالحبالِ والعِصِيِّ
أرسل في حب الأمور الرَسْناً
حتى نعى علياً النُّعاةُ
وراقَت الدنيا ورقَّ الدينُ
وصيَّر البيتَ سليبَ الحقِّ
قد نصَّبَ الجِلْمُ لهم حبالاً
وراضَ من شكائم الأباةِ
فزالت الأخلاقُ والنِّيَّاتُ
وثَمَّ ما يسألُ عنه الله
قطعُ نظام العهدِ في الإسلامِ
حتى علا التاجُ على العمامةِ
جنايةُ أدركت الأجنَّةُ
تحت هوى الآباءِ للأبناءِ
تشبَّثُ الوالِدِ بالمولودِ
ارفع قواعدَ الفَخَّارِ وابنِ
لا يرفع الجذعُ عن الأرضِ الثمرُ

لا تعجبَنَّ من عظيمٍ ما فَتَقَّ
ما كلُّ ذي حربٍ وذي لداٍ
جوُّ الولاياتِ خلا لنسره
فلا تسلُ عن انبساطِ المُلكِ
الشرقُ تحته كخيرِ عهدِهِ
مباركٌ لقومه في عُمرِهِ
رَبِّ اعْفُ عن جرأته عليكَ
لم يعلُ في العفو عليه كُفُوُ
واعجبُ له كيف تلافى ورتقُ
بجابر الوهبي ولا سدادِ
واجتمع الأمرُ له بأسره
ورفقَ رُبَّانيَّه بالفُلكِ
والغرب يقضي ليله بسُهدِهِ
ميمونة لهم معالي أمرِهِ
فالعفو منك والرضى إليكَ
فأره كيف يكون العفو

عَمْرُو بن العاص

ما بالُ قصرِ الشمعِ لا يُضاءُ؟
لا فتية الرومان في بُروجه
ولا الليالي حوله أعراسُ
وما لبابليون من بعد العجمِ
لم تُغنِ عنه رفعةُ الأسوارِ
وأين في أفقيهما^٢ فسطاقُ
قد ألقيا إليه بالمقالِدِ
سُرادقُ ينفذُ حُكمَ رَبِّهِ
أوى إلى أطنابه اليمامُ
وأمنَ الأعزلُ فيه الشاكي
خَفَّتْ به القبابُ والخيامُ
لم يبقَ من ذلك إلا مَسْجِدُ
كالكعبة الرفيعةِ الدعامِ

هَبَّ على مصباحه القضاءُ
ولا غوانيهم على مروجه
وفوقه وتحته أعراسُ
أَمَسَتْ رجاءًا في نواحيه الأجمُ؟
ولا جثومُ الأسدِ الأسوارِ
للنجم عن سُدَّتِهِ انحطاطُ
وخرجا من طارفٍ وتالدِ
من منبع النيلِ إلى مَصْبِهِ
لأنها الرحمةُ والغمامُ
وحذر المشكُوُّ صوتَ الشاكي
وسالمتْ ضاربَه الأيامُ
عالٍ على باعِ الخطوبِ مُنْجِدُ^٣
ما حُجَّ إلا مرةً في العامِ

١ الوثأب.

٢ ضمير راجع لقصر الشمع وحصن بابلين.

٣ مرتفع.

إِنْ كَانَ لَمْ يَعْزُ عُلُوُّ الْهَيْكَلِ وَلَيْسَ بِالْمَلُوءِ الْمُسْكَلِ
لَقَدْ تَرَدَّى حُلَلُ الْجَلَالِ بِالْبَانِيَيْنِ الْحَقِّ وَالْحَلَالِ
أَمِيرُ كُلِّ هَيْكَلٍ وَمُعْبِدِ فَاتَهُمَا بِالسُّوْدِ الْمَوْبِدِ
نَسَى الدِّيَانَاتِ بِمَصْرَ قَبْلَهُ وَلَا يَزَالُ لِلْقُلُوبِ قَبْلَهُ

* * *

إِسْلَامُهُ وَخَالِدًا فِي آنِ حَلَّ عَلَى الشَّرِكِ بِهِ رُزَانِ
السِّيفِ وَالرَّأْيِ بِيَوْمِ أَجْمَعَا وَاسْتَأْذَنَا عَلَى مُحَمَّدٍ مَعَا
فَانْقَلَبَ الْحَقُّ بِهَذَا فَرْدَا وَعَادَ هَذَا بِالْهَدْيِ مُسَدَّا
بِالْفَاتِحِينَ بُشْرَ الْإِسْلَامِ وَاسْتَقْبَلَتْ أَمَالَهَا الْأَعْلَامُ
كِلَاهُمَا كَانَ رِضَى النَّبِوَّةِ لَمْ تَشْكُ كَلُّهُ وَلَا نُبُوَّةُ
وِبَارِزٌ مَن صَادَ وَسَهْمٌ مَن رَمَى مِنْ الْهُدَاةِ الرَّاشِدِينَ الْكُرْمَا
مَا ضَرَّ عَمْرًا مُنْضَجَ الْهَوَاجِرِ إِنْ كَانَ لَمْ يَنْصُرْ وَلَمْ يُهَاجِرِ
كَمْ هَجَرَ النَّوْمَ أَبُو مُحَمَّدٍ وَاکْتَحَلَ الْعِثِيرَ بَعْدَ الْإِثْمِدِ

* * *

عَمَرُوا الْقَنَا وَالرَّأْيِ وَالْجُدُودِ رَمَى بِهِ الْفَارُوقُ فِي الْحُدُودِ
عَلَى فِلَسْطِينَ حَمَى الرَّيَاةِ وَحَمَلَ الْخَيْلَ عَلَى الْغَايَةِ
إِذَا الْمَضِيْقُ لَمْ يَجِدْ مَضَاءً لِلسِّيفِ، قَامَ رَأْيُهُ فِضَاءً
حَتَّى حَوَى لِعُمَرَ الْإِقْلِيمَا وَحَازَ لِلْإِسْلَامِ أورشَلِيمَا
فَتَحَّ تَوَلَّى صَكَّهَ الْإِمَامِ وَأَخَذَ الْمِيثَاقَ وَالزَّمَامِ
يَا صَخْرَةَ اللَّهِ اشْهَدِي أَنْ عَمَرَ أَبْرُ مِنْ نَهْيِ وَأَوْفَى مِنْ أَمْرِ

* * *

سَمَا إِلَى مَصْرَ بِطَرْفٍ وَطَمَحَ وَلَمْ يَزَلْ بِعَمْرٍ حَتَّى سَمَحَ

٤ أَي سَيْفًا مَاضِيًا.

٥ كَلَّ السِّيفُ: لَمْ يَقْطَعْ، وَنَبَا عَنِ الضَّرْبَةِ: ارْتَدَّ عَنْهَا.

وَجَّهَهُ فَهَبَّ وَالغَزَاةَ
 يَطْوِي بِهِمْ طَابَخَةَ الرِّكَائِبِ
 أَنْعَاكِ أَمْ أَسْقِيكَ مِنْ بَيْدَاءٍ؟
 مَاذَا دَهَى مَصْرَ مِنَ الطَّوَارِي
 كَمْ رَعَتْهَا بَدَاهِمُ جِرَافٍ
 وَرَبِّ جَلَّادٍ عَلَى جَلَّادٍ
 كَمْ عَصَفْتُ مِنْكَ السَّوَاقِي الْهُوجُ
 وَكَمْ بَعَثْتِ بِالْمَبْشِرَاتِ^{١٠}
 وَكُنْتِ إِنْ أَسَلْتِ رَائِدِينَا
 كَمَا أَطَارَ الصُّيَّدُ الْبِزَاةَ
 أَكَلَةَ الْبَعُوثِ وَالْكَتَائِبِ^٧
 كَانَتْ دَوَاءً أَبَدًا وَدَاءً
 وَلَقَيْتُ مِنْ ذَلِكَ الْجَوَارِ
 وَأَفَّةَ الْجِسْمِ مِنَ الْأَطْرَافِ
 سَلَّطْتَ وَيَلِينُ عَلَى الْبِلَادِ^٨
 وَهَبَّتِ الْحَاصِبَةُ السِّيْهُوجُ^٩
 عَلَى مَوَاتِ الْحَقِّ مَنْشِرَاتِ
 طَوَيْتِ دِينًا وَنَشَرْتَ دِينَا

* * *

شُرِّفَتْ بِالْعِزْرَاءِ وَالْمَهَاجِرِ^{١١}
 وَسِيقَ فِيكَ يَوْسُفُ جَلِيبَا
 وَوِطِئْتَ بِسَاطِكِ الْأَسْبَاطِ
 وَخَزْتِ مُوسَى جَائِلًا وَجَائِبَا
 وَمُصِيبًا بِقَفْرَةٍ وَمَجْهَلِ
 وَطَالِعًا مَخَارِمَ الْجِبَالِ
 تَرْمِينِ أَرْضِ النَّيْلِ عَنْ قَوْسِ الْفَلْكِ
 تَهْدِينَ نَوْرًا تَارَةً وَنَارَا
 وَبِالْخَلِيلِ آيِبًا بِهَاجِرِ
 فَلَقِي التَّمْلِيكَ وَالتَّغْلِيبَا
 وَانْتَضَمَ الشَّمْلُ وَالْإِغْتِبَاطُ
 يَسْتَقْبَلُ الْآيَاتِ وَالْعَجَائِبَا
 وَمُمْسِيًا بِرَبْوَةٍ وَمَنْهَلِ
 وَقَابَسَ النُّورَ عَلَى الْأَقْبَالِ^{١٢}
 يَوْمًا بِشَيْطَانٍ وَيَوْمًا بِمَلَكُ
 وَالطَّامِسِ الْمَنَارِ وَالْمَنَارَا

^٦ جمع صائد، والبزاة: جمع باز.

^٧ إشارة إلى الصحراء.

^٨ أي: ربَّ غازٍ فاتحٍ رميت على وادي النيل فجاءه غازٌ آخر من الجيوش المغيرة يخرجها فكانا ويلين على البلاد.

^٩ السيهوج من الرياح الشديدة.

^{١٠} المبشرات الرياح الطيبة، إشارة على الذين دخلوا مصر من الصحراء من الرسل والحواريين.

^{١١} عيسى إذ هو طفل.

^{١٢} المرتفعات من الأرض.

حتى مشتُ كتيبةُ الحواري
وما النجومُ الزُّهُرُ حَفَّتْ بِالْقَمَرِ
ولا قنا الأسباطِ^{١٤} حول يُوشعا
عليك كالأنواءِ والأنوارِ^{١٣}
أروع من عمرو على خيل عُمُرُ
أعفٌ من قناهما وأخشعا

* * *

كتيبةٌ قليلةُ العديدي
طوتُ إلى مصرَ القفارَ طيًّا
فبلغ العُمُرانَ عمرو فرمى
تسلقوا حصونها تَسَلَّقَا
واخترقوا التَّخومَ والحدودا
ورودتُ بلبيسُ حتى أذعنتُ
ترجَّلَ الحماة عن حصونها
وظلَّت الخيلُ تجوب الوادي
يسيرُ في رُخائها المَلَّاح
حتى بدت منازل الرومانِ
في حِصنِ حِصنٍ أو ذَرَا لواءِ
فنزلوا سوادَ عينِ شمسِ
وجثموا إلا عيونًا ساميةً
فخرج الرومانُ للقتالِ
رحى الوغى بمثله تدور
ليس لعمرو ما له من كثرةً
فأقعد الغازي له الكمينَا
يومٌ عليه بُنيتُ أيام

كثيرةٌ بدينها الجديدِ
وركبتُ رياحها مَطِيًّا
بجمعه الروم حِيالَ الفَرَمَا^{١٥}
واقتحموا مارِدَها والأبْلَقَا
سبحان من يُداول الجدودا
ورُكبتُ بالمسلمين إذ عنتُ
ونزل الأُبَاة عن مَصونِها
أندى على الريف من الفوادي
ولا يحسُّ وطأها الفلَّاح
ساهرةً الخَطِّي^{١٦} واليمني
بعيدي المَصْعِدِ في الجِواءِ
وسأدهم رحالهم كأمسِ
تجسُّ حصنًا أو تجوس حاميةً
في جحفلٍ مدججٍ مُختالِ
وقطبها في قلبه «تيدور»
وخوزةً وشكَّةً ونثره
وأخذ الشِّمالَ واليمنيَا
لأمةٍ جدودها قيام

^{١٣} الأنواء الأزهارة: والأنوار الأضواء.

^{١٤} الأسباط من اليهود كالقبائل من العرب.

^{١٥} موضع من الحدود كان محصنًا.

^{١٦} الرمح والسيف.

من يصطبر للصدمة الأولى يَسُدُّ
 بباب أليونَ تيودور اعتصمَ
 وجيء بالأمدادِ والسوادِ
 وظن أن الحصنَ مُعجزَ العربِ
 فإن أبوا أدبهم بيومِ
 فوردت كتيبة الزُبَيْرِ
 وظل بابليون وهو عاصِ
 حتى تسوَرَ الزبير سُورَه
 مشى على ناقوسه مكبِّراً
 أوفى على القوم فريخَ البرجِ
 صوتُ هفا في الحصن بالعزائمِ
 فضاع رشد الروم والصوابِ
 تبارك الله وجلَّت العربُ
 من فتح بلبيس لعينِ شمسِ
 وركب العُججِ^{١٨} العصا^{١٩} بمن معه
 يبغي دمنهورَ بهم فجاءها
 وإذا على آثاره خيل العربِ
 بعد قتالِ جال فيه الرومِ
 واندفعت خيل الإمام تعدو
 حتى بدا الثغر فودَّت قُبْلَه
 ورابطت فجزَّت الأرسانا
 وطيفَ بالثغرِ فلا ثنيَّة

لا يصلح الفلُّ^{١٧} ولو كانوا الأُسُدُّ
 فيمن وهى من الصفوف وانفصمَ
 من شحنةِ الروم وقبِطِ الوادي
 فما لهم غير النكوصِ مُضطربِ
 ما بعده قائمةٌ للقومِ
 وعُمَرُ مُصدِرُ كلِّ خيرِ
 على الزبيرِ وعلى ابنِ العاصِ
 واغترَّ في وكونها نُسورَه
 يا لك ناقوساً أُحيلَ منبراً
 بفارسٍ له السماء سَرْجُ
 كنبأةٍ في جوف أيكِ نائمِ
 وفُتحت من نفسها الأبوابُ
 لم يئنَّهم جوٌّ ولم يعقُ سَرْبُ
 لا يُصبحُ الضيغُ حيث يُمسي
 إلا قليلاً غودروا في المعمعةِ
 في مددٍ قد ملئوا أَرْجاءها
 وخيلُه من هربٍ إلى هربِ
 وطاح أبطالهمو القرومِ
 يَقدُمها اليُمن ويحدو السعدِ
 كما اشتهى العبسيُّ^{٢٠} ثغرَ عِبْلَه
 والتفتت تعاتب الفرسانا
 إلا عليها رَصَدُ المنيةِ

^{١٧} بقية الجيش المنهزم.

^{١٨} كل عظيم من الروم.

^{١٩} ركب العصا أي هرب، من المثل المشهور: فاز من ركب العصا، والعصا فرس لها قصة.

^{٢٠} عنتره المشهور، وعبلة حبيته.

فكيف لا يُؤدِّي برشدِ قيصرًا أو بصوابِ قومه أن تُحصِرًا
أقامهم سقوطها وأقعدًا وزعموه فوق طاقة العدا

* * *

وكان في الإسكندرية الملا أملك في سلطانهم وأكملًا
جموعهم في ساحها بلا عدَد والبحر يغدو ويروح بالمدد
ومن أصاب البحر في سلطانه عدَّ جميع الأرض من أوطانه
تقضت الأيام والشهور والسيف في غير وغي مشهور
يفتر عن لآلئه فم الجَمع وتحتها للثغر خوفٌ وطمع
وربُّه يستنزل الرومانا ويعرض الإصلاح والأمانا
حتى أُعينَ رَجُلُ الإمامِ برجل القياصر الهمام^{٢١}
وفُتحت مدينة الإسكندرِ صلحًا وصفوًا ليس بالمُكدرِ
تأخَّر السيف وشارط الندى يا غبن من يُشارط المُهندا
فقبل راعى المسلمين الوالي وكان في السرِّ لهم يُوالي
وقيل بل ذو مأربٍ أرادا بسُلطة الكنيسة انفرادا
وكان في فروق سلطانِ البيع تعنوا له في سائر الأرض الشيع
حكم جفاه الاعتدال وقسا إنني أراهم ظلموا المُقوقسا
لعله تبين الحقائقا وذاد عن مصرَ بلاءً حائقا
ووجد الرومان والقيصرًا لا يملكون في البلاد ناصرا
يرونها العنف والاستكبارا ولا تُحبُّ الأممُ الجبارا
مما مضى الدهر عليه والأول أن النجاحَ لفتياتِ الدُول

^{٢١} هو الموقوس عظيم القبط يوم ذاك.

خالد بن الوليد

هل يصنُع الآياتِ إلا الله؟
ليس بصنعِ يَمَنٍ أو هِنْدِ
وقيئُهُ المقدارُ والقضاءُ
يسألُهُ بإذنه ويُغِمِدُ
إلا الشريفَ العالِي العيُوفَا
والمهتدى بنوره في المُظلمة
والضاربُ الباطلَ في المقاتِلِ
بالحق بنيانَ الخليلِ الرُكنا
سيف الإله أسد الإسلامِ
ودخل الإسلامَ وابنَ العاصِ
صدرُ نَدِيٍّ، ولواءُ جيشِ
ما خلفها من عجب الأقدارِ
وشأنِ اليومِ وذِكْرِ في غدِ
مرتجِلِ المواهبِ السوابغِ
لم يشتهرُ بصولةٍ وقهرِ
وشيمٍ تقطرُ جاهليَّةُ

مَن طَبَع السيفَ ومن جَلَّاهُ؟
إنسُ الحديدِ، بَشَرُ الفِرْنَدِ
وكيف لا يصحبه المَضَاءُ
قُلْدَه من رَبِّه محمَّدُ
خُلِقَتْ لا أعظَّمُ السيُوفَا
المفتدى بحدِّه من مظلمة
والناصرُ الحقَّ على المُقاتِلِ
والرافعُ الدُّولَاتِ ركنًا ركنًا
كابن الوليدِ مَوئِلِ الأعلامِ
طلَّقَ جاهليَّةَ المعاصي
كلا العظيمين فتى قريشِ
تخيَّرَ السمحةَ غيرَ دارِ
من نِعَمٍ تترى وعيشِ مُرغِدِ
سبحانَ رَبِّي مُنشئِ النوابغِ
هل خالدٌ إلا فتى من فهِرِ
مَنْزِلَةٌ في غالبِ عَلِيَّةُ

ونفخةً بالقوم والميلاد
وأرضعتها جرأةً ومقدماً
لم تبدُ للصائغ والنقّادِ
به اكتسابُ أدبِ الإسلامِ
فيه جَلَّتْ أسرارُها الرجالُ
وللشعاع من مدى ومُنْبَسَطُ
كما أتى بها الترابُ بَاءً
معلّقُ الهمة بالغاياتِ
اقتَرَحَ النَجْحَ عليه والظَّفِرُ
مُعْظَمًا في الآخِرِينَ شأنُهُ
إلا وكان اسمًا على مُسَمَّى
وقامعَ الفتنَةِ يَوْمَ الرِّدَّةِ؟
وكلُّ أَفَّاكٍ له مشارِكِ
مسطورة في صحفِ الفوارِسِ
وفتحِ الحيرةِ والأنبارِ
أروعِ يحمى عسكرِ الإمامِ
وينثني بفتحها المرومِ
وعالمٍ من عربٍ تنصَّرا
دينٌ هو الغالي وعِرْقٌ ينزِعُ
إن الرجالَ أفضلُ الذخيرةِ
صحابيةِ أهلةِ غيوثِ
نجمًا لأهوالِ السرى جشاما
إن المُغيثِ من أتاك طائرا

زهُوُ الصناديدِ بني الجِلادِ^١
نفسُ غذتها الجاهليةُ الدِّمَا
ونُهيةُ كالجوهرِ الوقَّادِ
فكان من عنايةِ السلامِ
إذا كان في دولته مجال
لا بد للعقلِ الكبيرِ من وسطِ
رَبِّ هَبَاتٍ زهبت هَبَاءً
موفِّقِ الآراءِ والراياتِ
إذا غزا عن النبيِّ أو سَفِرُ
سمَّاه سيفَ الله يوم مؤتَهُ
فما مضى في موطنٍ أو همًا
أليس كافِي الإمامِ الشدَّةِ
وقاتلَ الكذابِ^٢ في المعاركِ
أيامه مشهورةٌ في فارسِ
خاض بها الوقائعَ الكبارا
واحتاجتِ الشامِ إلى هُمامِ
يقحُمها على جموعِ الرومِ
وهي تموجُ بجموعِ قيصرا
قبائلُ فؤادها موزَّعِ
فلم تقعُ إلا عليه الخيرةُ
فخفَّ للغياثِ في ليوثِ
خلى العراقَ وتولَّى الشاما
يقطعُ عُفلاً ويجوب بائرا

^١ الجِلاد: القتال.

^٢ مسيلمة، وكان ادعى النبوة بعد موت رسول الله.

فكان في السَّماوة^٢ الرُّبَّالاً
تخفق فوق رأسه العقاب^٤
حتى حوى الجيش القرى فصارا
أحراس تخم وحُماة حدًّا
سل تدمرًا والقريتين وأرك^٥
وسل به غسان كيف صُبَّحوا
هبت على الشام قبولاً ريده^٥
أوفت على اليرموك تطعى من طرب^٥
أقبل سيف الله يزجي خيله^٥
وأمر الجيش عليهم خالدا
فعبئ^٥ الحزبان للطم
تراعيا على تفاوت الفئته
ونشبت جائحة^٦ الدهور
فداهم الروم الرعيل المسلم
واخترق الهيجاء فرسان العجم^٥
أما الرُّجالى^٥ فاحتَمُوا في الخندق
يوم كبد^٥ في الفتوح منزله^٥
لما رأى سلطانه تداعى

لا تذكر الألب وأنيبالا
في مهمه تُنكره العقاب
بين ديار العرب النصرارى
وحاطة الأطراف من تعدد
هل ثبتوا لخالد في معترك
بالخيل جاءت من بعيد تضح
فاستروح الغوث أبو عبيدة^٥
يا مائم الروم ويا عرس العرب!
ويل هرقل منه ثم ويله!
وانتظروا اليوم العظيم الخالدا
طام يعب لنزال طام
ذا مائتا ألف وذا نصف المائة
عدوة القاهر والمقهور
إن العتيق^٧ بالعِتاَق أعلم
تحت سروج الخيل أو فوق اللجم
ليلاً فمُسُوا بالبلاء المحدق
أمسى هرقل بعده لا عز له
صاح: الوداع سوريا الوداعا

^٢ مفازة مشهورة بين العراق والشام، اختارها خالد بن الوليد فكان عملاً عظيماً له شأن في تاريخ الحروب.

^٤ العقاب الأولى: راية الرسول، والثانية: الطائر المعروف.

^٥ أي هبت الأمداد هبوب الريح اللينة، فوجد أبو عبيدة ريح الغوث والنجدة.

^٦ أي نادرة الدهور، وهي الحروب.

^٧ أبو بكر؛ أي هو أعلم باختيار الخيل.

^٨ جمع راجل، وهو في الحرب خلاف الفارس.

دولة بني أمية

وركنُها في الآخرين والأول
به بناها من بني وساسا
ما رسم الحدود إلا حده
حائطاً ملكيها سوى اليماني
كم أُيدت بالسيف أديان البشر!
عنها وأغنت صلّة السلاح
ووطأ الملك لها العُدوانُ
وبعدُ لم تختلف المسالكُ
وإنما أذهبها أبغاهَا

علمت أن السيفَ بناءَ الدولِ
ما زال في الممالك الأساسا
يَقصرُ حبلَ الملكِ أو يمدُّه
لم يَبِنِ للفرس ولا الرومانِ
وأَيُّ دينٍ بسوى السيفِ انتشرُ؟!
لم يُغنِ داعي الحقِّ والفلاحِ
فلا تقولنَّ بغتَ مَزوانُ
كذلك قبلُ كانت الممالكُ
تنال بالقوة مبتغاهَا

* * *

سلطنة ليس لها سميّة
شرق الثرى حازت وعزبه حوت
وأحرزت بالرأي والمُهَنّدِ
وغلب الليث عليها الثعلبُ
داهية الأمور والسياسة
تفاوتوا واختلف السلوك
ومن هو السيف ومن هو العصا

في الشرق والغرب بنت أمية
خلاقة على البسيطة احتوت
حيزت بجند الحيل المجنّدِ
احتازها من الجريء القلبُ
بنيان قطب الملك والرياسة
ونالها من آله ملوك
فمنهمو الدرُّ ومنهمو الحصا

ذَا حَجَرَ الْأَرْضِ وَذَا بَعْضِ الْحَجْرِ
حَلَّتْ مَحَلَّ دَوْلَةِ الرُّومَانِ
عَلَى الدَّخِيلِ قَطُّ لَمْ تَعُولِ
وَلَا سَيُوفِ الدَّيْلَمِ الْفُوارِسِ
وَالْغَرْبِ لَا يَخْرُجُ عَنْ رُحَاهَا
وَجَرَّتِ الْأَمَالُ فِي رَحَائِهَا
وَأُخْرِجَتْ فَرَائِدُ الْأَعْيَانِ
جَرِيرِ وَالْأَخْطَلِ وَالْفِرْزَدِقِ
كَابِنِ أَبِي سَفِيَانَ أَوْ عَبِيدِ الْمَلِكِ
وَالثَّقْفِيِّ^٢ حِينَ يَرْقَى الْمَنْبَرَا
أَعْطَتْهُمُو الْمَمَالِكُ الْمَقَادَهُ
وَعَابَهَا قَتَيْبَةَ الْمِظْفَرِ
عَنْ طَوْلِ بَاعِ الْفَاتِحِينَ الْغُرِّ
وَالْحَكَمِ الْحَاكِمِ فِي الْغَزَاةِ

خَلِيفَةَ بَرٍّ وَأَخْرَجَتْ فَجَزْرُ
مَا تَلِكْ إِلَّا دَوْلَةُ الزَّمَانِ
مَنْ الطَّرَازِ الْعَرَبِيِّ الْأَوَّلِ
لَمْ تَعْتَمِدْ عَلَى عَقُولِ فَارِسِ
كَالشَّمْسِ فِي الشَّرْقِ زَهَتْ ضُحَاهَا
تَقَلَّبَ الْإِسْلَامُ فِي رَخَائِهَا
وَزَخَرَتْ بِالْعِلْمِ وَالْبَيَانِ
حَازَ لُؤَاءَ الشَّعْرِ فِيهَا الزَّرْدَقُ^٢
وَمَا رَأَى الْمَنْبَرُ مِنْ عَطْفَى مَلِكِ
أَوْ كَزِيَادِ خُطْبَةً إِذَا انْبَرَى
وَرَزَقَتْ أَرْبَابَ سَيْفِ قَادَهُ
فَنَابَهَا الْمَهْلَبُ الْغَضْنَفَرُ
سَلَّ تَبَجَّ الْبَحْرِ وَعَرَضَ الْبَرُّ
ابْنَ نُصَيْرٍ مَرْسِلِ الْبُرَاةِ

* * *

وَمَقْعَدُ التَّاجِ وَنَظْمُ السَّلِكِ
تَرَفُّ فِرْدَوْسًا وَتَجْرِي كَوْثَرَا
لَا عَجَبٌ أَنْ يَرْفَعُوهَا لِلْسُّهَا
تَعْمُرُهَا يَدٌ وَتَكْسُوهَا يَدُ
وَيَنْثَنِي بِهَا الزَّمَانُ عُجْبَا
فِي أَزِينِ الطَّرِيفِ وَالتَّلِيدِ
وَعُوذَتْ بِالْجَامِعِ الْمَحْرُوسِ
وَاسْتَبَقَتْ أَكْفُ مُتَرَفِيهَا

أَمَا دِمَشْقُ فَمَقْرُ الْمُلِكِ
بَلْ شَامَةٌ وَالشَّامُ جَنَّةُ الثَّرَى
مَهْدٌ مَعَالِي مُلْكِهِمْ وَأُسُّهَا
ظَلَّتْ عَلَى أَيَّامِهِمْ تَزِيدُ
وَتُزَلْفُ الدُّنْيَا لَهَا وَتُجْبَى
حَتَّى جَلَّتْهَا دَوْلَةُ الْوَلِيدِ
وَكَمَلَتْ مَحَاسِنُ الْعُرُوسِ
تَأَنَّقَتْ يَدُ الْوَلِيدِ فِيهَا

^١ حجر الأرض: الرجل العظيم.

^٢ الزردق: الصف.

^٣ الحجاج.

فأصبحتُ حديقةَ الفنونِ وهيكلًا من مَرمرٍ مسنونِ
تفيضُ من عجائبِ العِمارةِ وحُجَرِ الصلَاةِ والإِمارةِ
ثم هوى أقمارُها وأبعدوا فحلفتُ بعدَهُموا لا تسعدُ

* * *

رمتُ يدُ الدهرِ بني مروانا إن لكلِّ مصرعٍ أوانا
فذهبوا عن حسناتٍ تُذكَرُ وسيئاتٍ جمَّةٍ لا تُنكَرُ
أما الأمورُ فهمو دُهائُها دنتُ ودانتُ لهمو جهائُها
وهم على الأمرِ العظيمِ أصبرُ لا يقربون اليأسَ حتى يُقبروا
أقوى بيوتِ العربِ التئاما وخيرُها بيتَهُموا وثاما
شَبَّانُهُم من طينةِ الأبالِسِ وشيْبُهُم أنكَرُ في المجالسِ
إذا جروا لغايةٍ لم يحفلوا ما المركبُ الأعلى ولا ما الأسفلُ
منهم من استحسِنَ قتلَ الآلِ ولم يخفُ مساوئِ المآلِ
ومن رمى الكعبةَ بالحجارةِ وذعرَ البيتِ وراعِ جارهِ
ومنهمو من مَزَّقَ الكتابا معاتبًا، يا قبَحَه عتابًا!
عاقِرُ غلمانُهُموا المُداما ولازموا القيانِ والنُدامي
وانغمسوا في الشهواتِ والترفِ وأفسدوا شَبَّانِ أبناءِ الشرفِ
رَعَوْا على اليقظةِ ثم ناموا فأصبحتُ للأسدِ الأغنامُ
جنى عليهم سَرَفُ الأبوَّةِ ويَغِيَهُم على بني النبوةِ
ونصبُهُم للحُكمِ كلِّ غاشِمِ جرتُ يداهُ في دماءِ هاشِمِ
ولعنُهُم خُلاصةَ الأكابرِ أبا الزكَّيِّينِ، على المنابرِ
وغدرُهُم بابنِ نصيرِ الوفي مُشيِّدِ الدولةِ في البرِّ وفِي
أمسوا حماهم حرمُ الأمانِ وأصبحوا طريدةَ الزمانِ
مروانُ وهو منتهى أُميَّةِ لم يفقدِ العزمَ ولا الحميَّةِ
قاتلٌ حتى خانهُ المجالُ وأسلمتُ دولتُها الرجالُ
والجندُ كالدنيا مع الموفِّقِ أعوانُهُ على الشقيِّ المُخفِّقِ
فلم يزلُ من بلدٍ إلى بلدٍ بالنفسِ ينجو والنساءِ والولدِ
حتى رمى مصرَ به المصيرُ وهَيَّئْتُ قبرا له بوصيرُ

وَأَلَّهُ بَيْنَ مَخَالِبِ الْأَسَدِ
قَدْ وِطِئُوا النَّطُوعَ لَا النَّمَارِقَا
دَنِيَاهُمُو مَسْدُودَةُ الْمَذَاهِبِ
وَحَزْبُهُمْ مَمْتَنِعُ الْهُدُوءِ
حَتَّى إِذَا قِيلَ خَلَتْ مِرْوَانُ
تَلَفَّتَ النَّاسُ وَرَاعَهُمْ عَجَبُ
صَقَرُ قَرِيشٍ مَنَعُوهُ جَلَّقَا
أَنْشَأَ مُلْكًا أُمُويًّا ضَخْمَا
وَدَوْلَةً قَصَّرَ عَنْهَا قِيصْرُ
زَهْرَاءَ فِي قَرطَبَةِ تَأَلَّقُ
يَنْتَزِعُ الرُّوحَ وَيَهْتِكُ الْجَسَدُ
وِطِئُوا لِلْسَائِفِ الْمَفَارِقَا
وَدَوْرُهُمْ لَوَاهِبٍ أَوْ نَاهِبٍ
حَثِيثَةٌ فِيهِمْ يَدُ الْعَدُوِّ
وَذَهَبَ السُّلْطَانُ وَالْأَعْوَانُ
الْكُوكَبُ الشَّرْقِيُّ فِي الْغَرْبِ احْتَجَبُ
فَطَارَ فِي قَرطَبَةِ وَحَلَّقَا
كَمُلْكِ كَسْرَى رُقْعَةً وَتَخْمَا
سَمَا بِهَا الْمُمَدَّنُ الْمَمْصُرُ
بَغْدَادُ مِنْهَا اقْتَبَسَتْ وَجَلَّقُ

صقر قريش (عبد الرحمن الداخل)

موشح أندلسي

من لِنِضْوٍ يَتَنَزَّى^١ أَلْمَا برح الشوقُ به في الغلَسِ
حَنٌّ لِلْبَانِ وَنَاجَى الْعَلْمَا أين شرقُ الأرضِ من أندلسِ

* * *

بَلْبَلٌ عَلَّمَهُ الْبِيانُ بات في حبل الشجون ارتبكا
فِي سَمَاءِ اللَّيْلِ مَخْلُوعُ الْعِنَانُ ضاقت الأرضُ عليه شَبَكَا
كَلِمَا اسْتَوْحَشَ فِي ظِلِّ الْجِنَانُ جُنٌّ فَاسْتَضَحَكَ مِنْ حَيْثُ بَكَى
ارْتَدَى بُرْنَسَهُ وَالْتَتَّمَا وَحَطَا خُطْوَةَ شَيْخِ مُرْعَسِ^٢
وَيُرَى ذَا حَدَبٍ إِنْ جَثَمَا فَإِنْ ارْتَدَّ بَدَا ذَا قَعْسِ^٣

* * *

فَمُهَ الْقَانِي عَلَى لَبَّتِهِ كبقايا الدَّمِ فِي نَصْلِ دَقِيقِ

^١ يتنزَّى: يتوثب.

^٢ المرعس: من رعى الرجل إذا مشى مشياً ضعيفاً من الإعياء.

^٣ القعس: ضد الحدب، وهو نتوء الصدر.

مَدَه فَا نَشَقُّ مِنْ مَنبَتِهِ مِنْ رَأَى شَقِّي مَقْصٍ مِنْ عَقِيْقٍ
وَبَكَى شَجْوًا عَلَى شُعْبَتِهِ شَجْوَ ذَاتِ الثُّكْلِ فِي السُّتْرِ الرَّقِيْقِ
سَلَّ مِنْ فِيهِ لِسَانًا عَنَّمَا^٤ مَاضِيًا فِي الْبَثِّ لَمْ يَحْتَبِسِ
وَتَرُّ مِنْ غَيْرِ ضَرْبٍ رَنَّمَا فِي الدَّجَى أَوْ شَرُّ مِنْ قَبَسِ

* * *

نَفَرْتُ لَوْعَتِهِ بَعْدَ الْهُدُوءِ وَالذُّجَى بَيْتَ الْجَوَى وَالْبُرْحَا
يَتَعَايَا بِجَنَاحٍ وَيَنُوءُ بِجَنَاحٍ مَذْ وَهَى مَا صَلْحَا
سَاءَ الْهَرُّ وَمَا زَالَ يَسُوءُ مَا عَلَيْهِ لَوْ أَسَا مَا جَرَحَا
كَلَّمَا أَدْمَى يَدَيْهِ نَدَّمَا سَالَتَا مِنْ طَوْقِهِ وَالْبُرْنَسِ
فَنَبَتُ أَهْدَابَهُ إِلَّا دَمَا قَامَ كَالْيَاقُوتِ لَمْ يَنْبَجِسِ^٥

* * *

مَدَ فِي اللَّيْلِ أَنْيُنًا وَخَفَقُ خَفَقَانَ الْقُرْطِ فِي جَنَحِ الشُّعْرُ
فَرَعَتْ مِنْهُ النَّوَى غَيْرَ رَمَقٍ فَضْلَةَ الْجُرْحِ إِذَا الْجُرْحُ نَغَرَا^٦
يَتَلَاشَى نَزَوَاتٍ فِي حُرْقٍ كَذِبَالٍ آخَرَ اللَّيْلِ اسْتَعَزَا
لَمْ يَكُنْ طَوْقًا وَلَكِنْ ضَرَمَا مَا عَلَى لَبَّتِهِ مِنْ قَبَسِ
رَحْمَةُ اللَّهِ لَهُ هَلْ عَلِمَا أَنْ تَلَكَ النَّفْسُ مِنْ ذَا النَّفْسِ
قَلْتُ: لِلَّيْلِ وَلِلَّيْلِ عَوَاذُ مِنْ أَخِي الْبَثِّ فَقَالَ: ابْنُ فِرَاقِ
قَلْتُ: مَا وَادِيهِ، قَالَ: الشَّجْوُ وَادُ لَيْسَ فِيهِ مِنْ حِجَازٍ أَوْ عِرَاقِ
قَلْتُ: لَكِنْ جَفَنَهُ غَيْرَ جَوَاذُ قَالَ: شَرُّ الدَّمْعِ مَا لَيْسَ يُرَاقِ
نَغَبَطُ الطَّيْرَ وَمَا نَعْلَمُ مَا هِيَ فِيهِ مِنْ عَذَابٍ بَائِسِ
فَدَعِ الطَّيْرَ وَحِطًّا قُسَمَا صَيَّرَ الْأَيْكَ كَدُورَ الْأَنْسِ

* * *

^٤ العنم: شجرة حجازية لها ثمرة حمراء يشبه البنان المخضوب.

^٥ لم ينبجس: لم يتفجر.

^٦ يقال جرح نغار؛ أي جيأش بالدم.

نَاحَ إِذْ جَفَنَآيِ فِي أَسْرِ النُّجُومِ
أَيُّهَا الصَّارِخُ مِنْ بَحْرِ الِهْمُومِ
إِنَّ هَذَا السَّهْمَ لِي مِنْهُ كُلُّومِ
قَلْبُ الدُّنْيَا تَجِدُهَآ قِسْمَا
وَأَنْظِرِ النَّآسَ تَجِدْ مِنْ سَلِمَا
رَسَفَا^٧ فِي السُّهْدِ وَالِدَمْعُ طَلِيقُ
مَا عَسَى يُغْنِي غَرِيقُ عَنْ غَرِيقُ
كَلُّنَا نَآزِحُ أَيِّكَ وَفَرِيقُ
صُرِّفْتُ مِنْ أَنْعَمِ أَوْ أَبُوسُ
مِنْ سَهَامِ الدَّهْرِ شَجَّتْهُ الْقِيسِي

* * *

يَا شِبَابَ الشَّرْقِ عَنَوَانَ الشُّبَابِ
حَسْبُكُمْ فِي الْكِرْمِ الْمَحْضِ اللَّبَابِ
فِي كِتَابِ الْفَخْرِ «لِلدَّخْلِ»^٨ بَابِ
فِي الشَّمُوسِ الزُّهْرِ بِالشَّامِ انْتَمَى
قَعَدَ الشَّرْقِ عَلَيْهِمْ مَأْتَمَا
ثَمَرَاتِ الْحَسَبِ الزَّآكِي النَّمِيرِ
سِيرَةٌ تَبْقَى بَقَاءَ ابْنِي سَمِيرِ^٨
لَمْ يَلْجِهْ مِنْ بَنِي الْمُلْكِ أَمِيرِ
وَنَمَى الْأَقْمَارَ بِالْأَنْدَلَسِ
وَأَنْثَنَى الْغَرْبُ بِهِمْ فِي عُرْسِ

* * *

هَلْ لَكُمْ فِي نَبَأٍ خَيْرِ نَبَأٍ
حَلْ فِي الْأَنْبَاءِ مَا حَلَّتْ سَبَأُ
مِثْلَهُ الْمَقْدَارُ يَوْمًا مَا خَبَأُ
يُعْجِزُ الْقُصَاصُ إِلَّا قَلْمَا
يُؤَثِّرُ الصَّدَقُ وَيَجْزِي عَلْمَا
حَلِيَّةِ التَّآرِيخِ مَأْثُورِ عَظِيمِ
مَنْزَلِ الْوُسْطَى مِنْ الْعَقْدِ النَّظِيمِ
لَسَلِيبِ التَّآجِ وَالْعَرْشِ كَظِيمِ
فِي سَوَادٍ مِنْ هَوَى لَمْ يُغْمَسِ
قَلْبُ الْعَالَمِ لَوْ لَمْ يُطْمَسِ

* * *

عَنْ عِصَامِيٍّ نَبِيلِ مُعْرِقِ
نَهَضَتْ دَوْلَتُهُمْ بِالمَشْرِقِ
ثُمَّ خَانَ التَّآجُ وَدَّ المَفْرِقِ
غَفَلُوا عَنْ سَاهِرٍ حَوْلِ الحِمَى
فِي بُنَاةِ المَجْدِ أَبْنَاءِ الفَخَّارِ
نَهَضَةُ الشَّمْسِ بِأَطْرَافِ النَّهَارِ
وَنَبَتْ بِالْأَنْجَمِ الزُّهْرِ الدِّيَارِ
بِأَسْطٍ مِنْ سَاعِدَيْ مُفْتَرَسِ

^٧ رسفا: تقيدا.

^٨ ابني سمير: الليل والنهار.

^٩ هو عبد الرحمن الداخل أول ملوك بني أمية في الأندلس.

حام حول الملك ثم اقتحما ومشى في الدم مشي الضريس

* * *

ثأر عثمان لمروان مجاز ودم السبب^{١٠} أثار الأقربون
حسنوا للشام ثأراً والحجاز فتغالى الناس فيما يطلبون
مكر سوايس على الدهماء جاز ورعاة بالرعايا يلعبون
جعلوا الحق لبغي سلما فهو كالستر لهم والثرس
وقديماً باسمه قد ظلما كل ذي مئذنة أو جرس

* * *

جزيث مروان^{١١} عن آبائها ما أراقوا من دماء ودموع
ومن النفس ومن أهوائها ما يؤديه عن الأصل الفروع
حلت الأعواد من أسمائها وتغطت بالمصاليب الجدوع
ظلمت حتى أصابت أظلماً^{١٢} حاصد السيف وبيء المحبس
فطننا في دعوة الال لما همس الشاني وما لم يهمس

* * *

ليست بزد النبي النيرات من بني العباس نوراً فوق نور
وقديماً عند مروان ترات لزكيات من الأنفس نور
فنجاً الداخلى سبجاً بالفرات تارك الفتنة تطغى وتنور^{١٣}
عس^{١٤} كالحوت به واقتحما بين عبريه عيون الحرس
ولقد يجدي الفتى أن يعلمنا صهوة الماء ومئن الفرس

* * *

^{١٠} يعني بالسبب: الحسين بن علي صلوات الله عليه.

^{١١} يعني بمروان: بني مروان.

^{١٢} الأظلم هنا هو أبو مسلم الخراساني صاحب دعوة بني عباس، وقد سلب بني أمية ملكهم.

^{١٣} نارت الفتنة: وقعت وانتشرت.

^{١٤} غس: دخل ومضى.

صَحِبَ الدَّاحِلَ مِنْ إِخْوَتِهِ حَدَّثَ خَاضَ الغَمَارِ ابْنَ ثَمَانٍ
غَلَبَ المَوْجَ عَلَى قَوَّتِهِ فَكَأَنَّ المَوْجَ مِنْ جُنْدِ الزَّمَانِ
وَإِذَا بِالشَّيْطَانِ مِنْ شِقْوَتِهِ صَائِحٌ صَاحَ بِهِ: نِلْتَ الأَمَانَ
فَانثَنِي مُنْخَدِعًا مُسْتَسْلِمًا شَاةٌ اغْتَرَّتْ بِعَهْدِ الأَطْلَسِ^{١٥}
خَضَبَ الجُنْدُ بِهِ الأَرْضَ دَمَا وَقَلُوبُ الجُنْدِ كَالصَّخْرِ القَّسِيِّ

* * *

أَيُّهَا اليَائِسُ مُتَّ قَبْلَ المَمَاتِ أَوْ إِذَا شَتَّتَ حَيَاةً فَالرَّجَا
لَا يَضُقُّ دَرْعَكَ عِنْدَ الأَزْمَاتِ إِنْ هِيَ اشْتَدَّتْ وَأَمَلٌ فَرَجَا
ذَلِكَ الدَّاحِلُ لاقَى مُظْلِمَاتِ لَمْ يَكُنْ يَأْمَلُ مِنْهَا مَخْرَجَا
قَدْ تَوَلَّى عَزَّهُ وَانصَرَمَا فَمَضَى مِنْ عَدِهِ لَمْ يَيَأْسُ
رَامَ بِالمَغْرِبِ مُلْغًا فَرَمَى أَبْعَدَ العَمْرِ وَأَقْصَى اليَبَسِ

* * *

ذَاكَ وَاللهِ الغِنَى كُلُّ الغِنَى أَيْ صَعِبٌ فِي المَعَالِي مَا سَلَكَ
لَيْسَ بِالسَّائِلِ إِنْ هَمَّ مَتَى لَا وَلا النَّاظِرِ مَا يُوحِي الفَلَكُ
زَايِلَ المُلْكِ ذَوِيهِ فَآتَى مُلْكَ قَوْمٍ ضَيَّعُوهُ فَمَلَكَ
عَمَرَاتٍ عَارِضَتْ مُقْتَحَمَا عَالِي النَفْسِ أَشَمَّ المَعْطَسِ^{١٦}
كُلَّ أَرْضٍ حَلَّ فِيهَا أَوْ جَمَى مَنْزِلُ البَدْرِ وَغَابُ البَيْهَسِ^{١٧}

* * *

نَزَلَ النَّاجِي عَلَى حُكْمِ النُّوَى وَتَوَارَى بِالسُّرَى مِنْ طَالِبِيهِ
غَيْرَ نِي رَحَلٍ وَلَا زَادٍ سَوَى جَوْهَرَ وَافَاهُ مِنْ بَيْتِ أَبِيهِ
قَمَرٌ لاقَى خَسوفًا فَنَزَوَى لَيْسَ مِنْ أَبَائِهِ إِلَّا نَبِيهِ
لَمْ يَجِدْ أَعْوَانَهُ وَالحَدَمَا جَانِبُوهُ غَيْرَ «بَدْرِ» الكَيِّسِ

^{١٥} الأطلس: الذئب.

^{١٦} المعطس: الأنف.

^{١٧} البيهس: الأسد.

من مَوَالِيهِ الثَّقَاتِ الْقَدَمَا لم يَخْنَهُ فِي الزَّمَانِ الْمُؤَيِّسِ

* * *

واضحَلَّتْ آيَةُ الْفَتْحِ الْجَلِيلِ	حِينَ فِي أَفْرِيْقِيَا انْحَلَّ الْوَيْثَامُ
وَكَثِيرٌ لَيْسَ يَلْتَأَمُ قَلِيلٌ	مَاتَتْ الْأُمَّةُ فِي غَيْرِ التَّنَائِمِ
شَامَهَا ^{١٨} هَنْدِيَّةٌ ذَاتَ صَلِيلِ	يَمَنْ سَلَّتْ ظُبَاهَا وَالشَّامَ
وَعَدَا بَيْنَهُمُ الْحَقُّ نَسِي	فَرَّقَ الْجَنْدَ الْغِنَى فَاَنْقَسَمَا
لِلْمَعَالِي مِنْ بِهِ لَمْ تَأْنَسِ	أَوْحَشَ السُّوْدُودُ فِيهِمْ وَسَمَا
الْبَعِيدِ الْهَمَّةِ الصَّعْبِ الْقِيَادِ	رُجِمُوا بِالْعَبْقَرِيِّ النَّابِ
لَمْ يَقِفْ عِنْدَ بِنَاءِ ابْنِ زِيَادِ ^{١٩}	مَدَّ فِي الْفَتْحِ وَفِي أَطْنَابِهِ
وَهُوَ بِالْمَلِكِ رَفِيقٌ ذُو اصْطِيَادِ	هَجَرَ الصَّيْدَ فَمَا يُعْنَى بِهِ
مَنْ أَخِي صَيْدِ رَفِيقِ مَرَسِ ^{٢٠}	سَلَّ بِهِ أَنْدَلَسًا هَلْ سَلِمَا
وَرَمَى بِالرَّأْيِ أُمَّ الْخُلَسِ ^{٢١}	جَرَدَ السَّيْفَ وَهَزَّ الْقَلَمَا

* * *

مَا عَلَيْهِ مِنْ حَيَاءٍ وَسَخَاءِ	بِسْلَامِ يَا شِرَاعًا مَا دَرَى
وَبِرِيحِ حَفْهَا اللَّطْفِ رُخَاءِ	فِي جَنَاحِ الْمَلِكِ ^{٢٢} الرُّوحِ جَرَى
وَمَحَا الشَّدَّةَ مِنْ يَمْحُو الرُّخَاءِ	غَسَلَ الْيَمِّ جِرَاحَاتِ الثَّرَى
دَارَهُ مِنْ نَحْوِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ	هَلْ دَرَى أَنْدَلَسَ مِنْ قَدِيمَا
فَتَحُ مُوسَى مُسْتَقَرًّا الْأَسِسِ	بِسَلِيلِ الْأَمْوِيِّينَ سَمَا

* * *

أَمْوِيٌّ لِلْعُلَا رَحَلْتُهُ وَالْمَعَالِي بَمَطِيٍّ وَطُرُقِ

^{١٨} شام: سل.

^{١٩} هو طارق بن زياد مولى موسى بن نصير فاتح الأندلس في عهد عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي.

^{٢٠} المرس: الشدائد المجرب في الحروب، يقال: إنه لمرس حذر.

^{٢١} الخلس: جمع خلسة وهي الفرصة.

^{٢٢} الملك الروم: جبريل.

كالهلال انفرَدت نُقلتُه
بُنيت من خُلُق دُولتُه
وإذا الأخلاقُ كانت سُلماً
فأزَقَ فيها تَرَقَّ أسباب السَّما
أَيُّ مُلْكٍ من بنايات الهَمِّمِ
ذلك الناشئُ في خيرِ الأممِ
حكمت فيه الليالي وحَكَمَ
سُلِبَ العزُّ بشرقِ فرَمى
وإذا الخيرُ لعبدٍ قُسِما

لا يُجاريه رِكابٌ في الأفقِ
قد يَشيدُ الدُولَ الشَّمَّ الخُلُقِ
نالت النُّجمُ يدُ المُلتَمِسِ
وعلى ناصيةِ الشمسِ اجلِسِ
أَسَسَ الدَّاخلُ في الغربِ وشاد
ساد في الأرضِ ولم يخلق يُساد
في عَواديها قِياذاً بِقِياذِ
جانِبِ الغربِ لعزِّ أَقْعَسِ
سَنَحَ السَّعدُ له في النُّحَسِ

* * *

أيها القلبُ أحقُّ أنتَ جارُ
ها هنا حلَّ به الرِّكبُ وسار
فَلَكُ بالسَّعدِ والنُّحسِ مدازُ
ها هنا كنتَ ترى حُوَّ الدُّمى
ناقلاتٍ في العَبييرِ القَدَما

للذي كان على الدهرِ يجيرُ
وهنا ثاوٍ إلى البعثِ الأسيرِ
صَرَعَ الجامُ^{٢٣} وألوى بالمُديرِ
فاتناتٍ بالشفاهِ اللُّعسِ^{٢٤}
واطناتٍ في حَبيرِ السُّندسِ

* * *

حُذِّ عن الدُّنيا بليغِ العِظَةِ
طَرَفَها جُمعا في لَفْظَةِ
الأمانِ حُلْمُ في يقظَةِ
كُلُّ نبي سِقْطِينِ^{٢٥} في الجوّ سما
وسيلقى حينه نَسرَ السَما
أين يا واحدَ مروانَ عَلِمَ

قد تحلَّت في بليغِ الكَلِمِ
فتأمَّل طَرَفِها تَعَلِمِ
والمنايا يقظَةِ في حُلْمِ
واقعُ يومًا وإن لم يُغرسِ
يوم تطوى كالكتابِ الدَّرِسِ
مَن دعاكَ الصقرَ سَمَّاهُ العُقابِ^{٢٦}

٢٣ الجام: الكأس.

٢٤ اللعس: سواد مستحسن في الشفة.

٢٥ السقط: جناح الطير.

٢٦ العقاب: اسم راية الداخل.

رَايَةٌ صَرَفَهَا الْفَرْدُ الْعَلَمُ
كَنْتُ إِنْ جَرَّدْتَ سَيْفًا أَوْ قَلَمَ
مَا رَأَى النَّاسُ سِوَاهُ عَلَمًا
أَعْلَى رُكْنِ السَّمَاءِ ادَّعَمًا
عَنْ وَجْهِ النَّصْرِ تَصْرِيفَ النَّقَابِ
أُبْتُ بِالْأَلْبَابِ أَوْ دِنْتَ الرِّقَابِ
لَمْ يُرْمَ فِي لُجَّةٍ أَوْ يَبِيسِ
وَتَغَطَّى بِجَنَاحِ الْقُدْسِ

* * *

قَصْرُكَ «الْمُنِيَّة» مِنْ قُرْطَبَةِ
صَدَفٌ خُطَّ عَلَى جَوْهَرَةٍ
لَمْ يَدْعُ ظِلًّا لِقَصْرِ «الْمُنِيَّة»
كَانَتْ صَقْرًا قُرَشِيًّا عَلَمًا
إِنْ تَسَلَّ أَيْنَ قُبُورِ الْعُظْمَاءِ
فِيهِ وَارُوكَ وَلِلَّهِ الْمَصِيرُ
بِيدِ أَنْ الدَّهْرُ نَبَّاشٌ بَصِيرُ
وَكَذَا عَمْرُ الْأَمَانِيِّ قَصِيرُ
مَا عَلَى الصَّقْرِ إِذَا لَمْ يُرْمَسِ
فَعَلَى الْأَفْوَاهِ أَوْ فِي الْأَنْفُسِ

* * *

كَمْ قُبُورٍ زَيَّنْتَ جِيدَ الثَّرَى
كَانَ مَنْ فِيهَا وَإِنْ حَازُوا الثَّرَى
وَعِظَامٌ تَتَزَكَّى عَنْبِرًا
فَاتَّخَذَ قَبْرَكَ مِنْ ذِكْرِ فَمَا
هَبُّكَ مِنْ جَرِصِ سَكَنْتِ الْهَرْمَا
تَحْتَهَا أَنْحُسُ مِنْ مَيِّتِ الْمَجُوسِ
قَبْلَ مَوْتِ الْجَسْمِ أَمْوَاتِ النُّفُوسِ
مِنْ ثَنَاءٍ صِرْنَ أَغْفَالِ الرَّمُوسِ
تَبِينَ مِنْ مَحْمُودِهِ لَا يُطْمَسِ
أَيْنَ بَانِيهِ الْمُنِيْعُ الْمَلْمَسِ

خليفة عبد الله بن الزبير

ضاع عليه الدّمُ والمال هبا
الجللُ المَطَلَبُ والغريمِ
إن الشريفَ يلدُ الشريفَا
وأمه في الشرفِ السماءُ
ومُتعبُ الظلامِ بالقيامِ
وأشجعُ الناسِ إذا تدجَّجا
وأكبرُ المجاهدينِ همهُ
إلى بني أمية اللدادِ
والعلويين الشدادِ الباسِ
واحتكمتُ في البصرتين شيعتُهُ
وخرجتُ مصرُ على أعدائه
وانخرعت قدرته انخراعا
لا ترفعُ الأحكامُ كلَّ من حكم
ومَن رسولُ الله أقصى ونفى
وإن غدت لذيله مساحبا
أراد أن ينفعه فضراً
وربَّ وُدِّ جاهلٍ أبكاكا
مصابحُ الأمرِ مُلوكِ الدهرِ

خليفةٌ ما جاءَ حتى ذهبَا
الصاحبُ ابنُ الصاحبِ الكريمِ
ابنُ الزبيرِ وكفى تعريفا
أبوه هَضْبَةُ العلاءِ الشَّمَاءُ
مستقبلُ الأيامِ بالصيامِ
وأخوفُ الناسِ إلا الليلُ دجا
وأظهرُ المعاهدينِ زَمَهُ
وثبًا من الخوارجِ الشدادِ
إلى مداراةِ بني العباسِ
فانتظمتُ أهلَ الجِجازِ بيَعْتُهُ
ودخلَ العراقُ في وِلائِهِ
فضاقَ مَرزوانُ به ذراعا
بابنِ الزبيرِ لا يقاسُ ابنُ الحَكَمِ
لا يستوي مَن عُمَرَه تحنِّفا
مروانُ ليس للأُمورِ صاحبا
جرَّ على عثمانَ ما قد جرَّا
ربَّ عدوِّ عاقلٍ أشكاكا
لكنه أبو النجومِ الزُّهرِ

حَدَّثَ إِذَا بَاهَى الْمَلُوكَ بِالْوَلَدِ عَنِ حَجَرِ الْأَرْضِ وَبِيضَةِ الْبَلَدِ
يَدْنُو بَنُو الْمَنْصُورِ مِنْ أَبْنَائِهِ فِي الرَّفْقِ بِالْمَلِكِ وَفِي بِنَائِهِ
مَا كَسَلِيمَانَ وَلَا عَبْدَ الْمَلِكِ وَلَا الْوَلِيدَ عَاهِلًا وَلَا مَلِكًا

* * *

لَمَّا أَتَى ابْنَ الْحَكَمِ الْجِمَامُ لَقَدْ أُصِيبَ بِالْدهِيِّ الْفَيْلِقُ^١
فِيَا شَقَاءَ ابْنِ الزَّبِيرِ! مَا لَقِي؟ إِنْ هُمْ لَمْ يَثْنَنَّ عَنِ الْمُرَادِ
فَتَى مِنَ النَّوَابِغِ الْمُرَادِ وَرُزِقَ الْهَمَّةَ وَالْكِلامَا
قَدْ نَضَجَتْ أَرَاؤُهُ غَلَامَا وَفِي الْحَدِيثِ مُسْتَقَى الْأُمَّه
وَكَانَ فِي الشَّرْعِ شِرَاعَ الْأُمَّه فَاتَ مَقَادِيرَ الْمَلُوكِ قَدْرُهُ
فَاقَ فَلَوْلَا بَخْلُهُ وَغَدْرُهُ ضَمَّ قَوَاهَا وَشَفَى أَمْرَاضَهَا
مَا زَالَ فِي الشَّامِ إِلَى أَنْ رَاضَهَا كَعَهْدِهَا بِالْأُمُويِّ الْأَوَّلِ
فَاجْتَمَعَتْ لَذِي دِهَاءٍ حَوْلِي إِنْ النِّظَامَ عَدَدًا وَعُدَّةً
رَمَى بِهَا مَجْمُوعَةَ مُعَدَّةً مِنْ دَاخِلٍ فِي طَاعَةٍ وَخَارِجٍ
فَظَفَرْتُ بِفِرْقِ الْخَوَارِجِ إِلَّا أَرَاهَا طَاعَةً وَسَمْعَا
وَلَمْ تَدْعُ لِابْنِ الزَّبِيرِ جَمْعَا لَوْلَا سُبَاتُ^٢ الرُّومِ ضَاعَتْ الْعَرَبُ
بَعْدَ حُرُوبٍ وَائْتِلِيَةِ الْحَرْبِ وَرُمِيَ الْبَيْتُ الْعَتِيقُ بِالشَّرِّ
أَحْسَتِ الْمَلَّةُ فِيهَا بِالْغَرْرِ^٣ يَحْمِي كَلِيثَ الْغَابَةِ الْحَرِيمَا
وَطَاحَ فِيهَا مُصْعَبٌ كَرِيمَا وَرَأَيْهِ الْوَضَاءَ فِي الْخَطْبِ الْحَلْكَ
وَضَاقَ عَبْدُ اللَّهِ عَنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَانْحَرَفَ الْأَنْصَارُ وَالْحَمَاءُ
انصَرَفَ الْكُرَارُ وَالْكُمَاءُ وَخَذَلَتْ شِمَالَهُ يَمْنَاهُ
أَسْلَمَهُ الْأَهْلُونَ حَتَّى ابْنَاهُ لَعَلَّهَا تَحْمَلُ بَعْضَ هَمِّهِ
فَجَاءَ أُمُّهُ، وَمَنْ كَأُمِّهِ؟ وَخَيْلُهُ أَوَاخِذُ الْفِجَاجِ
وَالْبَيْتُ، تَحْتَ قَسْطِلِ الْحَجَّاجِ

^١ الفيلق: الرجل العظيم.

^٢ أي نومهم وغفلتهم.

^٣ الغرر: الخطر.

فقال: ما ترينَ فالأمرُ لكِ
 قالت: بنيَّ وَلَدَ القَوَّامِ
 انظرُ فإن كنتَ لدينٍ تُرْتِ
 أو كانت الدنيا قُصارى همتك
 الحقُّ بأحرارٍ مضوا قد أحسنوا
 ولا تقلُ هنتُ بوهنٍ من معي
 ومُت كريمةً أو نُقِ الهوانا
 أنتِ إلى الحقِّ دعوتُ صحبكا
 ولا تقلُ: إن متُّ متُّوا بي
 هيهات ما للسَّلخِ بالشاة أَلْمُ
 وعانقتُه فأحسَّتْ دِرعاً
 مثلكِ في ثيابه المُشَمَّره
 لا تمضِ فيها وأرح منها الجسدُ
 فنزع النثرة عنه وانطلقُ
 فمات تحت المرهفات حرًّا

للموت أمضي أم لعبد الملك؟
 وابن العتيق القائم الصوام
 فلا تفارق ما إليه سرت
 فبئس أنت، كم دم بذمتك؟
 فالموتُ من ذلِّ الحياة أحسنُ
 فليس ذا فعلَ الشريف الألمي
 وعبثَ الغلمان من مزوانا
 فاقض كما قضا عليه نحبكا
 وطاف أهلُ الشام بالمصلوبِ
 ورُب جذع فيه للحق عَلمُ
 قالت: أضقتَ بالمَنون ذرعاً؟
 جاهد لا في الحلق المسمَّره
 وامض بلا درع كما يمضي الأسدُ
 في قلة يلقي العديداً في الحلقِ
 لم يألُ خيرَ الأمهات براً

موت إبراهيم الإمام والبيعة لأخيه السفاح وخلافته

بِيُومِنِ إِبْرَاهِيمَ رَأْسِ الْآلِ
وَمَعْدِنِ الْأَخْلَاقِ وَالْفَضَائِلِ
وَحُضْنِ الدَّعْوَةِ حَتَّى شَبَّبَتْ
بِلَ وَهِيَ عِنْدَ مُنْتَهَى بِنَائِهَا
وَصِيدَ فِي وَادِيهِ وَهُوَ الْأَصِيدُ
أَمَاتَهُ اللَّهُ وَأَحْيَا أَسْرَتَهُ
إِذْ بِأَخِيهِ هَتَفَ الدُّعَاةُ
فِي تَبَجِّ الدَّعْوَةِ وَالْكَفَّاحِ
وَقَامَ بِالدَّوْلَةِ هَاشِمِيَّةً
هَشَّ إِلَيْهَا عَرَفَاتُ وَمَنَى
قَدْ طَلَعَ السَّعْدُ بِهِ عَلَى الزُّمُرِ
وَنَالَ عَلِيًّا الدَّوْلَةَ الْإِسْلَامُ
ابْنَ جَلَا الْمُسَوِّدِ الْعِمَامَةَ
دَاعٍ لِمَلِكٍ دَاعِمٌ لِدَوْلِهِ
لَوْ كَانَ فَوْقَ الْأَرْضِ بَدْرٌ يَكْمَلُ
وَاجْتَمَعَ الْأَمْرُ لَهُ فِي أَرْبَعِ
وَلَمْ يَجِدْ إِلَّا اسْتَهْلًا وَغَدَقَ

الْأَمْرُ آلَ أَحْسَنَ الْمَالِ
فَتَى الْعَفَافِ وَالْحَجَى وَالنَّائِلِ
دَعَا الْقُرَى لِأَمْرِهِ فَلَبَّتْ
وَمَاتَ لَا أَقُولُ فِي أَثْنَائِهَا
نَالَتَهُ فِي نَادِيهِ لِلْقَوْمِ يَدُ
الْقِيِّ فِي السَّجْنِ فَكَانَ حُفْرَتَهُ
بَيْنَا بِهِ تَهَامَسُ النُّعَاةُ
بُويَعِ فِي الْكُوفَةِ لِلْسَّفَاحِ
نَعَى أَخَاهُ وَنَعَى أُمِّيَّةً
فِي جَمْعَةِ مَشْهُودَةٍ هِيَ الْمُنَى
فَكَانَتْ الْكُوفَةُ مَبْرَعُ الْقَمْرِ
بُويَعِ فِيهَا النَّفْرُ الْأَعْلَامُ
قَامَ أَبُو الْعَبَّاسِ بِالْإِمَامَةِ
فَتَى تَضَاعَلُ الْفَتَى حَوْلَهُ
كَالْبَدْرِ فِي سَمَائِهِ بَلْ أَجْمَلُ
قَدْ رَجَعَ الْأَمْرُ بِهِ لِلْأَرْبَعِ
ابْنَ الْغِيوثِ لَمْ يِعِدْ إِلَّا صَدَقَ

أَلَيْنُ مِنْ صَمصَامَةٍ وَأَقْطَعُ
 قَدْ كَانَ بَيْنَ الدَّوْلَتَيْنِ يَوْمُ
 التَّقَاتِ الْأَحْزَابُ بِالْأَحْزَابِ
 نَهْرٌ جَرَى الْأَمْرُ الْعَظِيمُ حَوْلَهُ
 وَكَانَ مَرَوَانُ أْتَمَّ فَيَلْقَا
 فَأَجْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْإِظْهَارِ
 مَا غَرَبَتْ شَمْسُ نَهَارِ الْبَاسِ
 هُمْ أَمَلُوا كَيُوشِعَ الْإِدَالَهُ
 فَكَانَتْ النِّيَّةُ ذَاتَ شَأْنٍ
 تَصْرَمَتْ دَوْلَةٌ عَبْدِ شَمْسِ
 بَعْدَ شَمْسٍ فَازَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ
 فَمَذَّ خَلَا الْجَوُّ لِسَيْفِ هَاشِمِ
 الْمَسْتَبِيحِ فِي دُخُولِ الْبَيْتِ
 فَهَتَكَ الْقُبُورَ وَهِيَ حُرْمُهُ
 وَمَنِيَتْ أَمِيَّةٌ بِسَاطِٔ
 وَكُلُّ جُرْمٍ وَاقَعُ الْعُقَابِ
 ثُمَّ قَضَى مُقْتَبِلَ الشَّبَابِ
 فَفَقَدَتْ بِهِ الْقَرَى حَيَاهَا

لَا يَعْرِفُ الرَّحْمَةَ حِينَ يُقْطَعُ^١
 عَزَّ بِهِ قَوْمٌ وَذَلَّ قَوْمٌ
 وَاقْتَتَلَ الْجَمْعَانِ حَوْلَ الزَّابِ
 عُبُورِ دَوْلَةٍ وَنَشَأُ دَوْلَهُ
 وَجَنَدُ عَبْدِ اللَّهِ أَوْفَى فِي اللَّقَا
 وَالنَّصْرُ لِابْنِ السَّادَةِ الْأَطْهَارِ
 حَتَّى بَدَتْ شَمْسُ بَنِي الْعَبَّاسِ
 وَالنَّصْرَ قَبْلَ غَيْبَةِ الْغَزَالِ
 وَكَادَتْ الشَّمْسُ لَهُمْ تَسْتَأْنِي
 وَدَبَّرَتْ أَيَّامُهُمْ كَأَمْسِ
 لَا كِفَاءَ لِلْغَالِبِ إِلَّا مِنْ غُلْبِ
 هَبِّ هُبُوبِ الْمَسْتَبَدِّ الْغَاشِمِ
 هَلَاكَ حَيٍّ وَانْتِهَاكَ مَيْتِ
 مِنْ مَاتَ فَاتَرَكَ لِلْمُمَيَّتِ جُرْمَهُ^٢
 أَبَدَلَهَا النَّطْعَ مِنَ الْبِسَاطِٔ^٣
 وَلَوْ عَلَى الْأَنْسَالِ وَالْأَعْقَابِ
 عَنْ دَوْلَةٍ مُقْبَلَةِ الْأَسْبَابِ
 وَمَاتَ بِالْأَنْبَارِ مِنْ أَحْيَاهَا

^١ أَي يُعَقِّقُ وَتُقَطِّعُ رَحْمَهُ.

^٢ أَي ذَنْبِهِ؛ لِأَنَّ الْمَيْتَ لَا يَعَاقِبُهُ إِلَّا اللَّهُ.

^٣ أَي ذُو سَطْوٍ.

^٤ النَّطْعُ: مَا كَانَ يَفْرَشُ لِيَقْتَلَ عَلَيْهِ النَّاسَ.

أبو مسلم الخراساني الداعي للعباسيين

وإن زهت بالشُّرفات والحُجَر
وسنَدُ العالِي بهن الصاعدِ
فاعطفُ على الأساسِ في الثناءِ
وقاد في ظهورها رِعالها
فوارسِ اللقَاءِ والكلامِ
والسيفِ يومَ النسبِ ابنُ نَصْلِهِ
وقيل: عبدٌ من بني السوادِ
ويرتدي لهاشم لباسا
على بني أمية العرينا
ودخلتُ فيها القرى أفواجا
من كلِّ دهقانٍ وكلِّ موبدٍ^١
وتركهم سُدَى كإهمالِ النَّعمِ
من لا له في الأمويين أربُ
أظهرتا من ضَعْنٍ ما قد كمنُ
واصطنعوا من مُضَرِّ الأعوانا

الأصلُ في كلِّ بنايةٍ حَجْرُ
معتمدُ الأركانِ والقواعدِ
فإن وقفت مُطريِّ البناءِ
وهذه الدولةُ قد دعا لها
أغرُّ من سوابقِ الإسلامِ
اختلفوا في أصلِهِ وفصلِهِ
ف قيل: حرٌّ عربيُّ الوادي
وقيل: كان يدعى العباسا
خاض الخراسانيُّ في العشرينا
فلقيتُ دَعْوَتَهُ رواجا
وقوبلتُ في الفرسِ بالمُحبِّدِ
لبخلِ مروانَ عليهم بالنَّعمِ
وقرَعَ الساقَ لها من العربِ
ربيعة انحازت إليها ويَمَنُ
فكم جفاهما بنو مروانا

^١ أصلها موبدان وهو القائد الفارسي.

وبالغوا في البرِّ والقيامِ
وهي لما يقترحون أجرى
جاءَ أبو مسلمٍ الخراساني
رُمُوا بماضي الحدِّ لا يمين^٢
تقتبسُ الشبان من مضائه
يَصِيدُ بالصلاة والصَّلَاتِ
يُعِينُهُ قحطبةٌ ذو الباس
بخيلهم جاب البلادَ وفَرَى
وشاطروها نِعَمَ الأيامِ
وهي على بني النبيِّ أجرا
أبدلها من رائقِ بأسنِ
داهيةٍ في رأيه كمين
وتَنزِلُ الشَّيْبُ على قضائه
وقنصُ الولاةِ بالولاةِ
أولُ قُؤَادِ بني العباسِ
وقام بعده ابنُه مُظفَّرًا

^٢ لا يكذب.

الدولة العباسية

وَمُلْكُ آلٍ مِنْ بَنِي الْغَمَامِ
هَزَّ الْغَمَامَ بِالْغَمَامِ فَانْهَمَزُ
بَيْنَ رِضَى الْخُلُقِ وَالِاسْتِثْنَائِيسِ
اللَّهِ مِنْ بَعْدِهِمَا أَتَمَّةٌ^٢
أَعْجَبُ، أَمْ مَنْ شَادَهَا وَسَاسَهَا؟
عِصَابَةٌ مُحْسِنَةٌ الْبُنْيَانِ
وَالْأَمْرُ يَسْتَأْنِسُ فِي مِيقَاتِهِ
وَالْخَيْرُ فِي تَخْيِيرِ الرِّجَالِ
فَنَفَوْا الْكُلُولَ^٣ وَالزِّيُوفَا
فِي الْأَمْرِ مُسْتَقْبِلِهِ وَالْمَاضِي
وَاعْتَصَمَ الْمَأْمُونُ فِيهَا فَغَلَبَ
وَفِي مَهَبِّ الرِّيحِ تَقْوَى النَّارِ
وَكَلُّ سَهْمٍ وَلَهُ رَمِيَّةٌ
مَا بَالُ بَازِيهِمْ غَدَا حَمَامَةٌ
كُلُّ مُهَنْدٍ لَهُ مُهَنْدٌ

سَلُّكَ لِآلٍ مِنْ بَنِي الْأَعْمَامِ
بَجْدِهِمْ فِي السَّنَةِ^١ اسْتَسْقَى عُمُرُ
وَدَوْلَةُ الْحَقِّ بَدَتْ لِلنَّاسِ
وَعَدُّ النَّبِيِّ فِي الْحَيَاةِ عَمَّةٌ
وَلَسْتُ تَدْرِي مَنْ بَنَى أُسَاسَهَا
أَقْبَلُ يَبْنِيهَا مِنَ الْفَتِيَانِ
قَدْ نَفَرُوا لِلْأَمْرِ فِي أَوْقَاتِهِ
وَانْتَخَبُوا الْأَبْطَالَ لِلْمَجَالِ
وَنَقَدُوا الْأَرَاءَ وَالسِّيُوفَا
سَلُّوا خِرَاسَانَ وَنَعَمَ الْمَاضِي
خَفَّتْ لِدَاعِيهِمْ وَلَبَّتْ الطَّلِبُ
لَأَهْلِهَا فِيهِمْ هَوَى وَنَارٌ
رَمَوْا بِهَا فَجَدَلُوا أَمِيَّةً
بِالشَّامِ صَادُوا الْمَلِكَ وَالْإِمَامَةَ
حَقِيقَةً لَيْسَ لَهَا مُفَنِّدٌ

^١ السنة: القحط.

^٢ إشارة إلى تبشير الرسول عليه السلام عمه العباس بالخلافة في بنيته.

^٣ الكلول التي لا تقطع.

^٤ نار الأولى: الرأي.

أبو جعفر المنصور

إن اختيار المرء من حَصَاتِهِ
الْخَلْفَاءُ لَمَحَاتُ زَيْتِهِ
قَطْبُ رَحَى الْحَرْبِ، مَدَارِ السُّلْمِ
حَتَّى تَلْقَى فِتْنَةً تُسَلُّ
وَاشْتَغَلَ الْقَرِيبَ بِالْقَرِيبِ
وَزَعَمَ الْغَابَ أَتَى غَيْرَ الْأَسَدِ
وَأَنَّ يَوْمَ الزَّابِ يَكْفِي سُلْمًا
وَفَدَحَ الْأَمْرُ بِهِ وَطَمًّا
فِيْمَنْ بَغَى الْفِتْنَةَ صَيْدًا وَعَصَى
سِوَى أَبِي مُسْلِمِ الْهَصُورِ
فَلَمْ تَقِفْ لِابْنِ عَلِيٍّ رَايَهُ
وَعَرَفَ الْقَاهِرُ طَعْمَ الْقَهْرِ
يُلَاقِ نُجْحًا أَوْ يُلَاقِ هُلْكًَا

استخلف المنصورَ في وصاتِهِ
ابن أبيه وسراج بيتِهِ
حَبْرُ بَنِي الْعَبَّاسِ، بَحْرُ الْعِلْمِ
فَلَمْ يَكْذُ بِالْأَمْرِ يَسْتَقِلُّ
قَدْ فَرَّغَ الْأَهْلُ مِنَ الْغَرِيبِ
ثَارَ بَعْدَ اللَّهِ ثَائِرُ الْحَسَدِ
وَأَنَّ مِرْوَانَ إِلَيْهِ سَلَّمَ
انْقَلَبَ الْعَمُّ فَصَارَ غَمًّا
جَاءَ نَصِيبِيْنَ وَقَدْ شَقَّ الْعَصَا
مَا فَلَّ حَدَّهْمَ عَنِ الْمَنْصُورِ
سَلَّ عَلَيْهِ سَيْفَهُ وَرَايَهُ
وَهُزَمَ الطَّاهِرُ يَوْمَ النَّهْرِ
وَمَنْ يَحَاوِلُ دَوْلَةَ وَمُلْكًَا

* * *

وَاجْتَمَعُوا فَامْتَنَعُوا عَلَى الرَّسَنِ
وَبَايَعُوا رَاشِدَهُمْ مُحَمَّدًا
طَاحَ عَلَى حَدِّ الظُّبَا فِي يَثْرِبَا
وَأَزْعَجَ الْمَنْصُورَ بِالْغَارَاتِ

وَاسْتَطْرَدَ الْحَيْنُ بُنُوَّةَ الْحَسَنِ
وَطَلَبُوا الْأَمْرَ وَحَاوَلُوا الْمَدَى
وَكَانَ مَقْدَامًا جَرِيئًا مَحْرِبَا
فَنَارَ إِبْرَاهِيمَ لِلنَّارَاتِ

بنهضة الدهماء والأشراف
 وشغب الغواة والمُرَاقُ
 ولم يَكِلْ عن لقاء الأزمه
 من كلِّ مَنْ لمثلها أعدًا
 وهو أخو الرأي السديد الصائب
 وجرَّدًا السيفَ له بأخمرًا^١
 ما كان بينها وبين حرب^٢
 على قنا المنصور عزَّ الغالبِ
 لأحرز السيِّدُ مُلْكُ السَّيِّدِ
 على جنود الحسنيِّ مُرَّه
 وأسعف الدهرُ أولي السدادِ
 فيما يخال أنه جهادُ
 وهكذا أنباءُ هذا البيتِ
 على فوات الوَفَيَاتِ حَسْرَى
 لكن من القرابَةِ الأسيادِ
 ولا الحُسَيْنِيُّونَ يوم كربلا
 وليس تثنيه عليهم رَجْمُ
 شفاهمو من طمع جَلَادُهُ
 غرَّتْهُ في دولتهم دنياهُ
 ولم يَقُمْ بِمَنِّهِ إحسانُهُ
 ونافستْ هِمَّتُهُ في الصدرِ
 لولاه ظلتْ شمسُها مريضه
 وما لهم في الحب عند الناس
 وبذلوا من مدهشات الهمة

فوجئ والجيشُ في الأطرافِ
 اضطرب الحجازُ والعراقُ
 فلم تُفَلِّ النَّائِبَاتُ عزمه
 تدارك الشدةَ بالأشدَّاءِ
 وكان يستشيرُ في المصائبِ
 أمرُ له كلاهما قد شمَّرا
 فكان بين هاشمٍ من حربِ
 وكان في أولها للطالبِ
 لولا المقاديرُ القديرةُ اليدِ
 كَرَّتْ عساكرُ الإمامِ كَرَّه
 عدته عن دعوته العوادي
 وطاب للشريف الاستشهادُ
 فطاح لم ينزلُ عن الكُمَيْتِ
 وكثُرَ القتلى وراح الأسرى
 سيقوا إلى يزيدَ أو زيادِ
 فلم يذق كالحسنيينِ البلا
 مُنُوا بقاسي القلبِ ليس يرحمُ
 لو طمعتُ في مُلكه أولاده
 هذا أبو مسلم التَّيَّاهُ
 فطال في أعراضهم لسانه
 ونازع الأل جلال القدرِ
 دعواه في دعوتهم عريضه
 وهو لفضل الطاهرين ناس
 وما علوا له من المُهمَّة

^١ موضع كان على فراسخ من الكوفة.

^٢ حرب بني أمية.

وموت إبراهيم حتفَ فيه
فوغَرَ الوالي عليه صدرا
وصاحبُ الدعوة ضافي الدعوى
تطلبُه الدماءُ كلَّ مَطَلَبِ
فكم أدرأها على المَنونِ
هذا الذي حمى أُميَّةَ الكرى
قد يقع الثعلبُ في الحُبَالِه
أفنى الفضاء حيلةَ الخراسي
وساقه الحَيْنُ إلى الإمامِ
فجاءه في موكبِ مشهودِ
أريدَ بالداعي الردى وما نرى
فمُكِّنَتْ منه سيوفُ الهندِ
أصببتِ الدولةَ في غنائها

* * *

والخلفاءُ ولدُ المنصور
إن استهلَّتْ بالدماءِ مُدَّتُهُ
ومن يَقْمُ بِمُلْكِهِ الجديدِ
لا تَرُجُ في الفتنة رَفَقَ الوالي
انظُرْ إلى أيامه النواضِرِ
عشرون في المُلْكِ رَفَقَنَ أَمْنَا
خلافهُ ثَبَّتْها قواعدا
أدرُ من صوبِ الغمامِ دخلا
يخافُ في مالِ العبادِ الله

^٣ الجبل.

^٤ تنقاد.

دَوْلُ الْعَرَبِ وَعُظْمَاءُ الْإِسْلَامِ

للسلم آلتُ وللحرب أهُبُ
وحوّل المنصورُ مجرى العهدِ
فكان في تقديمه الإصلاحُ
ولا تسلُ عن همة العقولِ
وكثرة الناقلِ والمُعربِ
واختطَّ بغدادَ على التسديدِ
كانت لأيام البهاليلِ سَمَهُ
ينجمُ فيها النابغُ السعيدُ
جماعهن في الممالك الذهبُ
أخر عيسى وأقام المهدي
وفي بنيه الخيرُ والفلاحُ
ونهضة المعقول والمنقولِ
عن حكمة الفرسِ وعلم المغربِ
دارًا لمُلكِ يسرٍ مديدِ
ومهرجانٍ مُلكهم وموسمهُ
وينجبُ المقتبس البعيدُ

دولة الفاطميين

مَنْ جَعَلَ الْمَغْرَبَ مَطْلَعِ الضُّحَى
وَصَرَّفَ الْأَيَّامَ حَتَّى أَحْدَثَتْ
وَأَظْفَرَ الصَّابِرَ بِالنُّجْحِ فَيَا
وَنَقَلَ الدَّوْلَةَ فِي بَيْتِ الْهَدَى
سَبْحَانَهُ الْمُلْكُ إِلَيْهِ وَلَهُ
وَسَخَّرَ الْبَرْبِرَ جَنْدًا لِلْهَدَى
مَا كَانَ فِي الْأَحْلَامِ أَحْلَامَ الْكُرَى
هَزِيمَةَ الْيَأْسِ وَيَا فَوْزَ الرَّجَا!
فَلَمْ تَزُلْ عَنْ طَنْبٍ إِلَّا إِلَى
يُؤْتِيهِ أَوْ يَنْزِعُهُ مِمَّنْ يَشَا

* * *

قَامَ إِمَامٌ مِنْ بَنِي فَاطِمَةَ
مَا عَجَبِي لِمَلِكِهِمْ كَيْفَ بُنِي
جَدُّهُمْ لَا دِينَ دُونَ حُبِّهِ
وَمَنْ مَضَى مَضِيَّهَا وَالْذُّهْمِ
أَجَلَهُمْ عَلَيْهِ كُلِّ حِقْبَةٍ
وَالْفَرَسِ وَالْتَرِكُ جَمِيعًا شَيْعَةً
فَشَهَدَ اللَّهُ لَهُمْ مَا قَصَّرُوا
كَمْ ثَارَ مِنْهُمْ فِي الْقُرُونِ ثَائِرٌ
هَذَا الْحَسِينِ دُمُهُ بِكَرْبَلَا
خَلِيفَةَ ثُمَّ تَلَاهُ مِنْ تَلَا
بَلْ عَجَبِي كَيْفَ تَأَخَّرَ الْبِنَا
وَأُمُّهُمْ بِالْأَمْهَاتِ تُفْتَدَى
أَصْبَحَ بِالْمَضْطَهْدِ اهْتَمَّ الْمَلَا
وَخَصَّهِمْ فِيهَا السَّوَادُ بِالْهَوَى
لَهُمْ يَرُونَ حُبَّهُمْ رَأْسَ التَّقَى
الْقَتْلَ صَبْرًا تَارَةً وَفِي اللَّقَا^١
بِالْأَمْوِيِّينَ وَبِالْأَلِّ الرِّضَا
رَوَى الثَّرَى لِمَا جَرَى عَلَى ظَمَا

^١ تعرضوا للقتل صبرًا؛ أي في الحبوس، وللموت تحت ظلال السيف.

واستشهد الأقمارُ أهلُ بيتهِ
ابن زياد ويزيدُ بَغِيَا
يهوون في التربِ فرادى وثنا
واللهُ والأَيَّامُ حربُ من بغى
مروانُ بالكأسِ التي بها سقى

* * *

وثار للثارات زيدُ بن علي
يطلبُ بالحُجَّةِ حقَّ بيته
ابن الحسين ابن الوصيِّ المرتضى
والحقُّ لا يُطلبُ إلا بالقنا
جرى عليه من هشام ما جرى
والأعزلُ الأَكشَفُ مَنْ فيها احتمى
اتخذ الكوفةَ درعا وقنا
مَنْ تكفِه الكوفةُ يعلمُ أنها
سائلٌ عليًّا فهو ذو علمٍ بها
وأحرقَتْ جثَّتُه بعد البلى
فمات مقتولًا وطال صَلْبُه

* * *

على أبي جعفرَ ثارتُ فتيةُ
هم أهلُ بيت الحسن الطاهر أو
ما أنصفوا والله في شق العصا
أيتطلبون الأمرَ والأمرُ لهم
من شبَّ من بيت الحسين ونما
يحملُ عنهم همَّةُ وغَمَّةُ
قد قرَّ في بيت النبيِّ ورسا
فليت شعري كان ذا عن حسدِ
أبناءً عمُّ نَجْبٌ أولو نُهى
محمدُ رأسهمو في يثربِ
أم بخله^٢ بلَّغهم إلى القلى؟
والقومُ في الأطرافِ يُذكون^٣ القرى
زاد وكوفانُ كمرَجَلِ غلا
وأودت الدولةُ في شَرْخِ الصبا
في النائبات غيرُ خَوَّارِ القوى
وقتل المهديَّ عند الملتقى
وبين إبراهيم يومٌ ذو لظى
وكان بين جيشه بأخمرا

^٢ أي بخل المنصور.

^٣ يهيجونها.

لم يصدّق ابنَ الحَسَنِ النصرُ به
 مات بسهمِ عاشرٍ لم يَرِمِهِ
 فلا تسلُّ عن جيشه أين مضى
 هاربُهم ليس يرى وجهَ الثرى
 أصبح ضاحكًا وأمسى قد بكى
 رامٍ ولكنَّ القضاءَ قد رمى
 ولا تسلُّ عن بيته ماذا التقى
 ولا يرى مسجونُهم غيرَ الدُّجى

* * *

وما خلا خليفةً مُسوّد
 يُقتلُ، أو يزجُّ في السجن به
 يرجون بالزهد قيامَ أمرهم
 لو دامت الدنيا على نُبوّة
 تخلّقوا نبدًا المشورات فلا
 من لا يرى بغيره وإن رأى
 وقلّمًا تخيروا رجالهم
 قد خالف المأمونُ أهل بيته
 من أجلهم نضا السوادُ ساعةً
 ولو سَهَا قوَّادهُ وألّه
 فما خلت دولته من ثائرٍ
 جيءَ بشيخِ علويٍّ زاهدٍ
 تأمرُ باسمه وتنهى فتيةً
 من أهل بيته ولكن فزعت
 وربُّ غادٍ مُني الحُجُّ به
 وكان زيدُ النار في أيامهم
 فظهر الجندُ عليهم وانتهى
 من طالبٍ يطلبُ الأمرَ سدى
 أو يتوارى أو يُبيده الفلا
 والزهدُ من بعد أبيهم قد عفا
 لكان للناس عن الأخرى غنى
 ينزل منهم أحدٌ عما يرى
 بعيني الزرقاءِ كان ذا عمى
 إن الرجال كالفضوص تُنتقى
 حبًّا بأبناء الوصيِّ وجبا^٤
 فقال قومٌ: خلع الوالي الحيا
 لقلدَّ العهدَ عليَّ بن الرضا
 قد قطع الطرقَ وعات في الحمى
 فقبل البيعة بعد ما أبى
 لحيته بينهم لمن لها
 من جورهم وفسقهم أمُّ القرى
 وخوف الخيف ولم يأمن منى
 والآخرُ الجزار عاث وعتا
 تائبهم إلى الإمام فعفا

^٤ زرقاء اليمامة، يُضرب بها المثل في حدّة الصبر.

^٥ الحياء: العطاء.

^٦ لباس بني العباس وشعارهم.

فهؤلاء لم يشيئ غيرهم
من حظهم أن صادفوا خليفة
ولم تزل تمضي القرون بالذي
حتى حبا الله بني فاطمة
ماطلهم دهرهمو بحقهم
ما لأوان لم يئن مُقدّم

سَمَعَ بَنِي حَيْدَرَةَ وَلَا زَرَى
فِي قَلْبِهِ لَهُمُ وَلِلْعَفْوِ هَوَى
أَمْضَى مُصَرَّمُ الْقُرُونِ وَقَضَى
مَا مَاتَ دُونَهُ الْأَبْوَةُ الْعُلَا
حَتَّى إِذَا مَا قِيلَ: لَنْ يَفِي، وَفَى
وَلَا يُوَخَّرُ الْأَوَانُ إِنْ أَتَى

* * *

سار إلى المغرب من شيعتهم
تشيعت^٧ من قبله آباؤه
من أهل صنعاء ودون عزمه
وأين داع بسيف قومه
يُضْبِحُ مَطْلُوبًا وَيُمْسِي طَالِبًا
يُبَشِّرُ النَّاسَ بِهَادٍ جَاءَهُمْ
حَتَّى تَمَلَّكَ الْعَقُولُ سَحْرُهُ
وَلَمْ يَزَلْ مُتَّبَعًا حَيْثُ دَعَا
مَهْمَا رَمَى بِخَيْلِهِ وَرَجَلِهِ
فَلَمْ يَدْعُ مِنْ عَرَبٍ وَبَرْبَرٍ
أَجْلَى بَنِي الْأَغْلَبِ عَنْ أَفْرِيْقِيَا
لَابَسَ أَقْوَامًا، تَحَلَّى بِالتَّقَى
قَدْوَةُ أَهْلِ الدِّينِ إِلَّا أَنَّهُ
ثُمَّ رَمَى الْمَغْرَبَ فَاهْتَزَّ لَهُ
قَاتَلَهَا نَهَارَهُ حَتَّى بَدَا
فَجَاءَ فَاسْتَخْرَجَ مِنْ سَجُونِهَا

فَتَى غَزِيرُ الْفَضْلِ مَوْفُورُ الْحَجَى
فَرَضَعَ النِّيَّةَ فِيهِمْ وَاغْتَدَى
مَا صَنَعْتُ مِنْ كُلِّ مَاضٍ يُنْتَضَى
وَأَخْرُ أَعَزُّ شَطَطَتُهُ النَّوَى
مَا قَعَدْتُ طَلَّابَهُ وَلَا وَنَى
وَأَنْ مَهْدِيَّ الزَّمَانَ قَدْ أَتَى
إِنَّ الْبَيَانَ نَفَثَاتُ وَرُقَى
لِلْفَاطِمِيِّ ظَافِرًا حَيْثُ غَزَا
فِي بَلَدِ أَدْعَنَ، أَوْ حَصَنَ عَنَا
وَلَمْ يَغَادِرْ مِنْ صَحَارَى وَرُبَى
عَنِ الْجَنَانِ وَالْقُصُورِ وَالْدُمَى
بَيْنَهُمْ وَبِالْفَضِيلَةِ ارْتَدَى
فِي أَدَبِ الدُّنْيَا الْمَثَالُ الْمُحْتَدَى
وَحَثَّ نَحْوَ سَجْلِمَاسَةَ الْخَطَا
لَأَهْلِهَا اللَّيْلِ فَلَانُوا بِالنَّجَا
تَبَرَ خَلَالِ كَانِ فِي التَّرْبِ لَقَا^٨

^٧ تظاهر آباؤه بالدعوة الفاطمية.

^٨ مطروحًا.

أتى به العسكرَ يمشي خاشعا
وقال: يا قوم اتبعوا واليكم
وترك المُلْك له من فوره
انظرُ إلى النيةِ ما تأتي به
ولا تقلُ لا خيرَ في الناس فكم
مكفكفًا^٩ من السرور ما جرى
هذا الخليفة ابنُ بنت المصطفى
وسار في ركابه فيمن مشى
والدينِ ما وراءه من الوفا
في الناس من خيرٍ على طولِ المدى

* * *

اضطلع المَهديُّ بالأمر فما
وحمل الناس على الدين وما
انتظمت دولته أفريقيا
وأصبحت مصرُ، وأمر فتحها
كم ساق من جيش إليها فثنى
وفتنة من الغيوب أومضتُ
صاحبها أبو يزيدٍ فاسقُ
وكل مالٍ أو دمٍ أو حُرَّة
يا حبذا المذهبُ لا يرفضه
مات عُبيدُ الله في دُخانها
فُضتُ ثغورٌ وخلت حواضرُ
بالمالِ والزرعِ وبالأُنفسِ ما
ثم قضى محمدٌ بغمِّه
فلم تنلُ أبا يزيدٍ خيلُه
ارتدَّ عن مصرَ هزيمًا جندُه
واستقبل المنصورُ أمرًا بددا
نارُ الزناتِيّ مشت على القرى
قصر في أمر العباد عن هدى
يأمر من رشيدٍ وينهى عن عمى
وارفة الظلِّ خصيبةُ الذرا
أقصى وأعصى ما تمنى واشتهى
عسكره القحطُ وردّه الوباء
قلبت المغربَ في جمرِ الغضا
يُريد أمرَ الناس محلولَ العرا
لناهيٍ وسافكٍ ومن سبى
من قعد الكسبُ به ومن غوى
وتعبَ القائمُ بالنارِ صلى
وأمر الطاغي عليها ونهى
أنسى الوباءَ والذئبَ والدِّبَا^{١٠}
والشرُّ باقٍ والبلاءُ ما انقضى
ولا قنا له الكنانةُ القنا
يشكو من الإخشيدِ مرَّ المشتكى
ودولة رتتُ وسلطانًا وهى
وغيرَ السيفِ الديارَ ومحا

^٩ أي مكفكفًا دمع الفرخ.

^{١٠} الجراد.

فكان في هوج الخطوب صخرةً
مكافحاً مقاتلاً بنفسه
لم يأل صاحبَ الحمار^{١١} مَطلباً
فأنقذَ المُدْنَ وخلصَ القرى
وترك المُلكَ سلاماً لابنِهِ
فتى كما شاءت معالي بيته
تقيلاً الأقيالَ من آبائه
قد حسنَ المُلكَ المُعزُّ وغدت
أحاط بالمغرب من أطرافه
جاءت من البحر المحيط خيلُهُ
حتى ربت وكثرت جموعه
فاستحوذت مصرُ على فؤاده
فاختار للفتح فتى مُختبراً
سيّره في جحفلٍ مُستكملٍ
فوجد الدار خلت واستهدفت
فلا أبو المُسكِ بها يمنعُها
قد هيئت فتحاً له لم يدعم
فإن يفتَ جوهرَ يومٍ وقعةً
اعتدل الأمرُ على مقدمه
وجرت الأحكامُ مجرى عدلها
كم أثرَ لجوهرٍ نفيسهُ
الجامعُ الأزهرُ باقٍ عامرُ
وقل إذا ذكرت قصره بها

وفي طريق السيلِ شَمَاءَ الرُّبَا
إن خاب لم يرجعُ، وإن فاز مضى
في السهل والوعر وسيراً وسرى
وطهرَ الأرضَ من الذي طغى
والأمرَ صفواً والأقاليمَ رضى
علماً وآداباً وبأساً وندى
وزيدَ إقبالَ الجدود والخُطا
أيامه للدين والدنيا حلى
ودان منه ما دنا وما قضا
تحمل منه الصيدَ حياً ذا طرا
ووفر المالَ لديه ونما
وقبله كم تيمت له أبا
معدنُه، فكان جوهرُ الفتى
للزاد والعدّةِ والمالِ الروى^{١٢}
بموت كافور الذي كان وقى
ولا بنو العباسِ يحمون الحمى
على دم الفتیان أو دمع الأسى
فكم له يوماً بمصر يُرتضى
وكان ركنُ المُلكِ ميلاً فاستوى
وعرفَ الناسُ الأمانَ والغنى
إلى المُعزِّ ذي المآثرِ اعتزى
وهذه القاهرةُ التي بنى
على السديرِ والخوزنقِ العفا

^{١١} لقب الثائر الزناتي.

^{١٢} الكثير.

للفاطميين وقَدَّموا الجِزْيَ^{١٣}
 من آل حَمْدَانَ فوارِسَ اللِّقَا
 دَمَشْقُ لِلشَّيْخَةِ تُضْمِرُ القَلِي
 وانتقلَ البيتَ إليهم وسعى
 والذَكَرُ فِي طُهْرِ البِقَاعِ والدُّعَا
 ونظَمَ السَّعْدُ لَجَوْهَرَ المُنَى
 باهرة العِزِّ تكاثُرَ الضُّحَى
 ما سمع الوادي به ولا رأى
 تباركتُ خزائنُ الله المِلا^{١٥}
 وغمرَ الناسَ سخاءً ورخا
 وجودُه إن جَرَحَ النيلُ أَسَا
 وذا أزاح الجَدَبَ عنها وكفى
 بَعْدَادَ والأقْدَارُ دون ما اشتهى
 لو تعرفُ الأمالُ بالنفسِ مدى
 من ذِروَةِ العِزِّ إلى أَوْجِ العُلا
 كما جرت على العُصِيَّةِ العصا
 من المحيط مُلْكُه إلى سَبَا
 والمُنْعِلُ الخيلَ يواقيت الوغى
 من الميادين إلى حَرِّ الرحي
 أقصره مُلاوَةً إذا رها^{١٧}
 وكليالي الوصل ليُلَّهُ انقضى

ودان أعلى النيل والنوبُ به
 وخضع الشامُ ومن جِباله
 إلا دمشق اغتُصبتُ ولم تزلْ
 وأتت الدارُ^{١٤} بني فاطمة
 فصارت الخطبةُ فيهما لهم
 حتى إذا الملكُ بدا اتساقه
 أتى المعزُّ مصرَ في مواكب
 واستقبل القصران يوماً، مثله
 خزائنُ المغربِ في ركبِه
 فاجتمع النيلُ على مُشبهِه
 وابنُ رسولِ الله أندى راحةً
 الأرض في أكناف هذا أجديتْ
 ولم يزلْ أبو تميم يشتهي
 حتى قضى عند مدى آماله
 انتقل الملكُ فكانت نُقلَةً
 جرى نِزارُ كَمَعَدُ للمدى
 إن يكُ في مِصرَ «العزیز»^{١٦} إنَّه
 المُسرِّجُ الخيلَ نضارًا خالصا
 لم يخلُ من جدِّ بها أو لعبِ
 مُلْكُ جرى الدهرُ به زاهواً وما
 مضى كأيام الصِّبَا نهاره

^{١٣} جمع جزية.

^{١٤} الدار المدينة دار الرسول.

^{١٥} الملاء.

^{١٦} العزيز: وارث المعز.

^{١٧} لان وطاب.

انقلب الراجون منها بالحبي
 وآل موسى قبسٌ ومُنْتَشَى
 كم كظم الغيظ، وأغضى، وعفا!
 وحُجِبَ الحِلْمُ وعُيِّبَ الذكا
 قد لقيت من حُكْمِهِ جَهْدَ البَلا
 يهدمُ إن تار ويبني إن هدا
 إلى فليل العزم واهنِ المَصَا
 وعطلَ القصران من ذاك السنَا
 وغادروا السلطان طامسَ الصدى
 من وَلَدِ العباسِ لا أمرَ ولا
 ليس بجارٍ فيه إلا ما قضى

كان العزيزُ سَدَّةَ الفضل التي
 لآل عيسى مِنْ نَدَى راحته
 وكان مأمونٌ بني فاطمةِ
 أودى فغاب الرفقُ واختفى الندى
 وحكم الحاكمُ مصرَ، ويحها!
 أتعبها مُختَلَطٌ مُختَبَلٌ
 ولم تزلْ من حَدِيثِ مُسَيَّرِ
 حتى خبا ضياءُ ذاك المنتدى
 عفا بنو أيوبَ رَسَمَ مُلْكِهِم
 وجمعوا الناسَ على خليفَةِ
 سبحان من في يده المُلْكُ وَمَنْ

* * *

عن مصرَ خيرَ ما أثاب وجزى
 في النسب الطاهر قال ولغا
 إذا الفراتُ لبني الساقى^{١٨} انتمى
 مفصلات بالثناء تَجْتَلَى
 للصالحات هاهنا وهاهنا
 من مُصلحٍ إلا بنورهم مشى
 بمصرَ من برٍّ وسنوا من قرى
 أو مهرجانٍ ذائعِ هم الألى^{١٩}
 وكسروا بها الرماحَ والطبى
 ولا رعوا للمغربيينَ الوَلا
 وحكّموه في العشائر الدُّنى

فيا جزى الله بنى فاطمةِ
 وأخذ الله لهم من حاسدٍ
 خلائفُ النيلِ إليهم يُنتمى
 تلك أياديهم على لَبَّاتِهِ
 كم مُدُنٍ بنوا ودورٍ شَيَّدوا
 هم رفعوا الإصلاحَ مصباحًا فما
 والكرمُ المصريُّ مما رسموا
 وكلُّ نَيْرِوزٍ بمصرٍ رائعِ
 هم مزَّقوا دروعهم براجهم
 لا العربَ استبقوا وهم قومهمو
 قد ملكوا الأبعدَ أمرَ بيتهم

^{١٨} الساقى: العباس.

^{١٩} أي هم الذين كانوا الأصل في إيجاده.

دولة الفاطميين

وَأَنْزَلُوا السُّنَّةَ عَنْ رُتْبَتِهَا
وَصَيَّرُوا الْمُلْكَ إِلَى صَبِيَّانِهِمْ
أَزْدَادَ بَغْيِ الْوُزَرَاءِ بَيْنَهُمْ
خَلِيفَةَ الرَّحْمَنِ فِي زَاوِيَةٍ
وَرَفَعُوا شِيعَتَهُمْ وَمَنْ غَلَا
فَوَجَدَ الْفُرْصَةَ مِنْ لَهُ صَبَا
وَأَصْبَحُوا هُمُ الْمُلُوكَ فِي الْمَلَا
مِنَ الْخُمُولِ، وَالْوَزِيرُ ابْنُ جَلَا